14 me Année No. 660

Lundi —25—2—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أحمد حسنين باشا
١٨٨٩ — ١٩٤٦

مات صاحب المقام الرفيع والخلق الرفيع والأدب الرفيع أحمد باشا حسنين فى غير الميادين التى تحدى فيها الموت ! ! تحداه فى الصحراء المجهل حين رحل ، وفى السماء المرعدة حين طار ، وفى الداء العقام حين مرض ، فخنس عن تحديه ؛ ثم اختلسه اختلاساً فى حادث من حوادث القدر على غفلة من إرادته وحيويته ! ! ولو كان الموت حليفاً للحياة لأمهل الفقيد حتى يتم عمله الذى تهيأ له بخير الفضائل والوسائل من تربيته وخلقه وثقافته وتجربته ؛ ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر !

كان أحمد باشا حسنين — سقى الله بصيب الرحمة ثراه — مزيجاً حلواً من طبيعتين كريمتين : صوفية مؤمنة ، وعسكرية مغامرة . أخذ الأولى عن أبيه وكان من علماء الدين فى الأزهر ، وورث الأخرى عن جده وكان من أمراء البحر فى الأسطول . أما أثر البيئة الأزهرية فيه فخلوص العقيدة ، وبلاغة الأسلوب ، واستقامة الطريقة ؛ وأما فضل الوراثة العسكرية عليه ، فحبه للنظام ، وولعه بالرياضة ، وميله إلى المخاطرة . ثم تخرج فى اكسفورد فوجدت هاتان الطبيعتان فى البيئة الإنجليزية والثقافة السكسونية الغذاء الناجع والجو الصالح ، فنمتا أعظم النمو ، وأثمرتا أكرم الثمر . والخلق الإنجليزى الأصيل قائم على جوهر هاتين الطبيعتين وفى هذا سر نجاحه .

كان الفقيد الكريم رياضى الروح والعقل والجسم ؛ فمن رياضة روحه نبالة نفسه ، ومن رياضة عقله سلامة تفكيره ، ومن رياضة جسمه شجاعة قلبه . وهذه الصفات هى التى تندر فى أكثر الناس ، وتعسر على قادة الشرق ؛ لذلك كان فقد أمثاله رزءاً لا يحتمل وخسارة لا تعوض .

وكان من خواص الأدباء وبلغاء الكتاب ؛ وكتابه (فى صحراء ليبيا) وآثاره فى منشآت (القصر) تتسم بسمة الفكر الناضج والذوق السليم والفن العالى . والبلاغة ظاهرة من ظواهر القوة ، وأدب اللسان مظهر لأدب النفس .

وكان من حملة العرش الأقوياء الأوفياء المخلصين . آثر التاج بحبه ، وآزره بقلبه ، وأحسن السفارة بينه وبين شعبه . ومن اعتدال الزمان وإقبال الأمور أن تكون بطانات الملوك من هذا الطراز : رأس مفكر ، ولسان عف ، ويد طاهرة ، وقلب مؤمن . ومما يطمئن القلب على سلامة الفطرة فى هذه الأمة أنها أجمعت على حب هذا الرجل ، فكأنها تحب الفاضل لذاته ، وتكره أن يدخل الهوى فى تقدير حسناته .

إن الشعب الفقير فى الرجال خليق بأن يطول حزنه على فقد رجل . وإن المصاب فى أمثال أحمد باشا حسنين مصاب فى الكيف لا فى الكم ، وفى الجوهر لا فى العرض ، وفى الرعاية لا فى القطيع . تغمده الله برحمته ، وأجزل له ثواب المتقين فى جنته ، وأخلف بالخير على أسرته وأمته .

احمد حسن الزيات

دمعـــة ...
على مساجد الفسطاط وآثاره
للأستاذ أحمد رمزي

كانوا مصابيحاً لدى ظلم الدجى ... يسرى بها السارون فى الإدلاج
كانوا ليوثاً لا يرام حماهم ... فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر إلى آثارهم تلقى لهم ... علماً بكل ثنية وفجاج

* * *

نشرت مجلة الإخوان المسلمين كلمة فى عددها الماضى تتلخص فى أن أحد النواب صرح بأن فى مصر القديمة ثمانية أديرة وكنائس عدة، تقابلها مصلاة واحدة من الطين والبوص على شاطىء النيل وقد اهتمت السلطات لهذا الأمر.

وأبدأ حديثى بأن أشكر إخواننا المسيحيين من مختلف طوائفهم ومللهم أن عرفوا كيف يحفظون آثارهم ومعابدهم وهى حق لهم ومفخرة لمصر؛ وأجزل لهم الشكر والثناء لأنهم بعملهم هـذا وسهرهم على تراث آبائهم والمحافظة عليه قد ألقوا علينا درسا مفيداً نحن معاشر المسلمين فى القرن العشرين.

ولا أجد ما أعبر عنه للسلطات إذا صدق ما قيل من اهتمامها لهذا؛ فإن هذه الحمية لدليل على وعى قومى ويقظة لم نعهدها من قبل؛ ولذلك نؤمل وننتظر أن تتبع هذه الحمية أو هـذه البادرة الطيبة بالعمل الصالح الجرىء النافذ؛ فتعيد لهذه البقعة بعض ما اندرس من آثارها ومفاخرها.

ولقد أثارت هـذه الكلمة الكثير من شجونى وآلامى، وأعادت إلى ذكرى الماضى العربى فى أجلى مظاهره؛ فعدت لنفسى ورجعت إلى الوراء، وتذكرت ما قرأته وسمعته عن عهود كانت فيها هذه البقعة من الأرض عامرة بمساجد الله وبالآثار الإسلامية؛ فعلمت كيف نزلت بها القبائل العربية أيام الفتح الإسلامى، وكيف استوطنتها واتخذت فيها الخطط والمنازل وكيف أصبحت اليوم خالية خاوية.

فمن المسئول عن هذا الخراب الشامل؛ وهذا الليل الذى نعيش فيه؟

إن تحميل الزمن وأحداثه كل العبء من الأخطاء والأرزاء التى نعانيها أمر سهل؛ ولكنه لا يتفق مع الحياة؛ والأمم تحيا وتتغلب بحيويتها ونشاطها وتصميمها وعنادها على حوادث الزمن ومصاعبه؛ ولذلك فإنى أحمّل المسلمين فى مجموعهم مسئولية هذا العبث بآثارهم، لأنهم جهلوا ماضيهم وآباءهم وأجدادهم وتهاونوا فى أمورهم لما تنكروا لأصولهم وأمجادهم، وتناسوا منزلة دينهم وأثره فى شؤون العالم، فحقت فيهم كلمة التنزيل «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها».

وقلت أين علماء الإسلام؟ ما لهم لا يقومون بأداء الأمانة التى فى أعناقهم فيعلمونا ما نجهل من أمرنا وأمر ديننا وشؤون من تقدم منا؟ لقد قرأنا عن السلف الصالح من رجال الدين ممن حملوا رسالة الشافعى وغيره من أئمة المسلمين طول القرون الماضية أنهم قوم جاهدوا فى الله خير جهاده؛ بذلوا أنفسهم فى سبيل العلم، والبذل فى سبيل العلم بذل فى سبيل الله، وكانوا أشداء إذا اقتنعوا بالحق جهروا به، رحماء بين أنفسهم ومع الناس

فأين جهودهم وأين علومهم وهم أولى الناس، أن نتلقى دروس الماضى عنهم؟

* * *

والآن قف بالله على أرباض الفسطاط ومنازل العروبة الأولى وموطن الإسلام أيام الفتح! ماذا ترى؟ أطلالاً وراء أطلال، وكانت هذه الجهة عروس الدنيا. إننى أنظر إلى وصف الأقدمين لها، وأرجع إلى ما كتبه المقريزى والسيوطى وابن دقاق وغيرهم وإلى علماء المزارات، فأشعر بالحسرة تملأ نفسى وتحز فى قلبى. وأعود إلى الخرائط الحديثة والقديمة وإلى وصف الرحالين لهذه البقاع فلا أعثر على ضالتى، وإلا فأعلمنى أين جامع الفتح مثلا، بل وأين جامع راشدة؟

لقد كان موقعه بين دير الطين والفسطاط، فى خطة راشدة وهى قبيلة من قبائل العرب وبطن من لخم، نزلوا هناك عند الفتح، وأنشأوا لهم جامعاً، ثم عاد الحاكم بأمر الله فجدده وعلّق فيه قناديل

من فضة ، وعُمّر بعد ذلك مراراً ؛ وكان يمتلىء بالناس لكثرة ما حوله من السكان . هذا هو قول المقريزى ، فانظر ما يقوله على مبارك باشا فى خططه ، وقد زال هذا الجامع ولم يبق له من أثر .

أما جامعنا العتيق وهو جامع عمرو فباق مع الزمن ، يحدّث عن أمجاد العروبة والإسلام ، وقد فكر المغفور له الملك احمد فؤاد الأول طيب الله ثراه أن يعيده إلى سابق مجده ، متخذا فى ذلك سنة من تقدمه من ملوك الإسلام فى مصر ، وعملت له مسابقة دولية ، فمتى يتم هذا العمل الجليل وأراه يتألق فى مجده القديم ، وأمتع ناظرى بلوحة من الرخام وقد نقشت عليها بحروف ذهبية كلمات عمرو بن العاص فى إحدى خطبه حينما قال لأهل مصر :

« إعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، تتجه قلوبهم إليكم وتتشوق إلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية » وكانت خطبته بجامع عمرو

واستشهد بما سمعه عن الرسول صلوات الله عليه إذ قال :

« إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض» فمتى يتم ذلك وتعمر الأحياء حوله ، وتعود أيام المسجد العتيق فتمتلىء رحباته بالمصلين يوم الجمعة ؟ وهو الذى يمثل وحده إذا ذكر ، أمجاد مصر وأياديها فى خدمة الشريعة ونصرة دين الله ، وهو الذى سطع نجم الشافعى فيه ، والإمام مفخرة من مفاخر مصر العربية فى الماضى ، وموضع اعتزازها فى الأجيال القادمة باذن الله

وذكر صاحب النجوم الزاهرة أن الملك العز أيبك ، وهو أول ملوك الدولة التركية بالديار المصرية والشامية ، أنشأ المدرسة المعزية على النيل بمصر القديمة ووقف عليها أوقافا ، وكان مدرسها القاضى برهان الدين الخضر ابن الحسن السنجارى . فأين الآن هذه المدرسة الإسلامية ؟ ولماذا لا تعاد إلى مكانها من العز السالف ، كما أعزها منشئها وبانيها ؟

لئن قلت موارد وزارة الأوقاف ونضبت ، فهل أعلنت أن المدرسة فى حاجة إلى المال فتقبض الناس أيديهم عنها ، وبخلوا بأعطياتهم وتبرعاتهم ليعيدوا أثراً لهم من آثار السلف الصالح يقيمون فيه شعائر الإسلام ويفخرون به .

***

وكان على شاطىء النيل الجامع الجديد الناصرى ، أنشأه الناصر محمد سنة ٧١٢ هجرية وكانت له أربعة أبواب وفيه مائة وثلاثون عموداً وكان بمصر القديمة ، ووصفه المقريزى وصفاً دقيقاً وقال « تولى الخطابة فيه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة الشافعى، ورتب فى إمامته الفقيه تاج الدين بن مرهف».

وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون ملكا ملء عين الزمن، وكان أئمة الدين وعلماء الإسلام وقضاتهم يتقربون إلى الله بخدمة الشعب والامتزاج به ورعايته كما رعى أنبياء اسرائيل خراف اسرائيل الضالة ، لم تكن لتأخذهم الأنفة وعلوا علواً عظيماً ، فوجدوها كبيرة على أنفسهم ، إذا تولوا الخطابة والإمامة بمساجد الله ، وقد كان الملوك والخلفاء والعظماء يتولونها فى السابق ، وكان النبى يؤدى رسالته بالمسجد ويقوم بين الناس إماما وخطيبا .

وأعود لمسجد الناصر فهل تعرفون له مكاناً فتدلونى عليه ؟ من استملك أرضه واستحلّ بناءه ؟ وأين أنقاضه وحجارته ؟

وتعال معى إلى أثر النبى، وهى التى يريدون برغم أنف الزمن، تمويه الناس أن يطلقوا عليها اسم الساحل القبلى ، وابحث عن رباط الآثار النبوية ، تجده لا يزال قائما ، ولكن لو كان ملكا لطائفة من طوائف الأديان الأخرى ، سواء أقلت أم كثرت، هل ترضى لنفسها أن تتركه على مثل حالته ؟ وهل يليق بدولة إسلامية عربية أن تترك هذا الأثر الإسلامى المنسوب إلى النبى عليه الصلاة والسلام على ما هو عليه ، وهو أول مسجد يقابلك وأنت تدخل القاهرة من الجنوب ؟ ذكره القدماء وأشاروا إلى الآثار النبوية التى كانت مودعة فيه وإلى تبرك الناس به . وقال المقريزى إنه أدرك لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ، وقال إن سلطاننا الملك الأشرف شعبان تغمده الله برحمته ، قرر فيه درساً للشافعية وكانت به خزانة كتب عامرة .

وهذه الآثار النبوية هى التى أوحت بالشعر لكثير من شعراء ذلك العهد ومنهم خليل بن أيبك الصفدى فقال :

أكرم بآثار النبى محمد … من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فانظرى وتمتعى … إن لم تريه فهذه آثاره

فهل فكر أحد من الناس أن يعاد ترميمه وأن ترجع آثار النبى إليه ؟ وأن تزرع حوله حديقة على النيل ، وأن ترد إليه

مكتبته ، والكتب رخيصة الآن ؟ وأخيراً درس الحديث في هذه البقعة ما أجمل وقعه على النفس !

هذه مصر القديمة أو العتيقة أو الساحل القبلي ، لماذا لا نعيد إليها اسم الفسطاط الذي عرفت به وعرف بها طوال القرون الماضية ، ونعيد اسمي العسكر والقطائع للجزء الشمالي منها ؟ فنقول قسم الفسطاط بدل مصر القديمة ، ومحطة الفسطاط ونضع مشاريع الإصلاح بشرط ألا نمس القديم ، ونتخذ فيها ما يحفظ الباقي منه .

إنني أرسلها كلمة حق في سبيل الله ، لأنها في نظري البقعة الطاهرة ذات التاريخ التالد ، أبينا أم رضينا ، إذ يقع بينها وبين قرافة الإمام الشافعي مئات من المزارات والقباب والقبور والآثار التي تستحق عناية المسلمين ويقظتهم وانتباههم . وسيكون من نتيجة الوعي القومي العربي ، العود إلى الماضي ، وسيؤم هذه الجهة عالم الآثار للبحث عن آثارها وما ترك السلف ، ويأتيها عالم المزارات لتحقيق موضع قبر من قبور العلماء أو القضاة أو الأولياء ، ويجيء إليها المؤرخ الولع بتتبع حوادث الفتوح الإسلامية والعصور الأولى من الهجرة ، فهل نترك هذه الجهات كما هي عليه الآن بغير حمايتها ممن يهدمون الأنقاض وينقلون الأعمدة ؟ وهل ضاقت مصر القاهرة بضواحيها وبيدائها ، فلم تجد للمدابغ والمذابح ومحاجر الأسمدة غير بقعة الفسطاط وجوار جامع العسكر ودار الإمارة ؟ بالله زر هذه الأماكن وتأمل ثم احكم معي وضم صوتك لصوتي لتقول :

إن أشنع تحقير لمصر الفتح الإسلامي وللمسلمين وكرامتهم وعزتهم في القرن العشرين بقاء هذه الحالة في جهة تتصل بماضيهم كما هي في الوقت الحاضر .

***

وأعود لما كنت فيه ، إننا سنجد هناك ما يدعو الواجب الإسلامي والعربي إلى إعادته كما كان في أوج عظمته ومجده ، مثل جامع عمرو وجامع العسكر ورباط الآثار والمدرسة المعزية ، ومنها ما يكتفى بالمحافظة عليه انتظاراً لجهود الأجيال القادمة ، ومنها ما اندثر مع الزمن فيجب تحقيق موضعه ، وبناء نصب يذكرنا به . ولقد سمعت من بعض الجهات أنها تطلب مليوناً من الجنيهات لتصرف على تحسين أماكن الآثار القديمة بالوجه القبلي ، فهل فكر أحد في الفسطاط ، إنها المدينة التي خرجت من تحت الأنقاض ، أنفقوا عليها جزءاً من أجزاء هذا المبلغ الضخم لتكون فرجة لمختلف الفرنجة من السائحين إذ فيهم من يشتاق لرؤية آثار العرب ويقدر ذوقه آثارهم إن لم نقدرها نحن .

ونحن لا نبالي بذلك ، بقدر اهتمامنا بالشعب المصري الذي يطالب بما يذكره بماضيه وأمجاده من تلك الأصول الثابتة . إن وراء الآثار الإسلامية مجداً وقوة ، إذ تلمس من أبنيتها صولة تملأ النفس ، وعظمة تخلق جيلا من الناس ، سيسلك حتما مسلك السلف الصالح من المسلمين . وإياك أن ننسى فتصدق فينا الآية الشريفة بسورة الأنعام :

« فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون » .

احمد رمزي

القنصل العام السابق بسوريا ولبنان .

فى إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٢٨ —

ج ٨ ص ٢٣٠ : قال أبو حيان انعقد المجلس وغص بأهله فرأيت العامرى وقد انتُدب فسأل أبا سعيد السيرافى فقال : ما طبيعة الباء من بسم الله ؟ فعجب الناس من هذه المطالبة ...

وفى ج ١٦ ص ٣١٢ :

وحبذا همة فى العزم ماانتُدبت لمبهم الخطب إلا زالت الحجب

قلت : ضبطت (انتدب) فى الموضعين بلفظ ما لم يسم فاعله .

فى الجمهرة : ورجل ندب إذا كان معواناً منجداً ينتدب للامور إذا ندب إليها .

وفى الصحاح : ندبه لأمر فانتدب له أى دعاه فأجاب .

ومثل ذلك فى (النهاية) وقال الامام الزمخشرى فى مقدمة مقاماته : وحين أتاح له الصحة التى لا يطاق شكرها انتدب للرجوع إلى رئاس عمله[1] فى إنشاء المقامات حتى تممها خمسين مقامة . وقال فى الشرح : ندب إلى كذا فانتدب له من كلام العرب .

فانتدب المتعدية لم ترد فى كلام العرب الأقدمين ولا المحدثين الأولين ولم يذكرها معجم نعرفه ما عدا (المصباح) .

وللعلامة الأستاذ الجليل أحمد بك العوامرى بحث محقق فى هذه اللفظة روى فيه قول القاموس وشرحه والأساس واللسان والمختار والمصباح ثم قال :

« فأنت ترى أن أحداً ممن روينا عنهم لم يتعرض لانتدب التعدى إلا صاحب المصباح وتبعه الشيرازى فى (معيار اللغة) نقلا عنه ، فقد قال : (وانتدبه للأمر على افتعل : دعاه إليه ، فانتدب له يتعدى ولايتعدى) ، فقد جاء انتدب متعدياً ، والمصباح من الكتب التى نرجع إليها ونعول عليها ، وإن انفرد أحياناً بما لم يروه أحد ممن سبقوه فيما نعلم » .

قلت : نقل (التاج) من (المصباح) مسمياً إياه شيئاً فى مادة (ندب) ، ولم يذكر هذا (الانتداب) المتعدى ولم يشر إليه . واليقين أن (التعدى) مولد متأخر نجم فى عصر العلامة الفيومى ، ولم يكن فى زمان الإمام السيرافى .

وإذا قبلنا الانتداب اللغوى العوامرى فى هذا الوقت ، فلن نقبل (انتداب) غيره ولا (حمايته) ولا (وصايته) ولا (مشاركته) ولا شيئاً من هـذه (الترادفات) المقوتات الملعونات اللواتى أطرفتنا إياها بعـد الحربين — عجّل الله بالثالثة ! — تلكم (الديمقراطيات) ذوات الختل والمين ، و « أنا أعرف الأرنب وأذنيها[1] » .

* * *

ج ٨ ص ٢١٦ : صاحب مخرقة وزرق .

وجاء فى الشرح : المخرقة مصدر خرق ، والمراد الحق بالتمويه والكذب . الزرق : العمى .

قلت : المخرقة : مصدر مخرق ، وقد أوردها اللسان والتاج فى هذا الفعل لا فى الفعل خرق . قال اللسان المخرق المموه ، وهى المخرقة مأخوذة من مخاريق الصبيان . وقال التاج : المخرقة إظهار الخرق توصلا إلى حيلة وقد مخرق . والمخرق المموه وهو مستعار من مخاريق الصبيان ، هنا أورده صاحب اللسان ، وهو على شرط المصنف ... فبالأحرى أن تذكر المخرقة هنا ، وأما الجوهرى ، فإنه أورده فى (خرق) وحكم على أنها مولدة ، والميم عنده زائدة .

قلت : أوردها الصحاح بعد قوله : « والمخراق المنديل يلف ليضرب به ، عربى صحيح ... وأما المخرقة فكلمة مولدة » ، فكأن الجوهرى يشير إلى أن اللفظة مأخوذة من المخراق — كما قال غيره — ولا يدل إيراده إياها فى (خرق) على أخذها من هذا الفعل ، وأن ميمها زائدة . وفى شفاء الغليل : قال ابن جنى فى سر الصناعة فى وزن مفعل وقالوا : مرحبك الله ومسهلك ، وقالوا مخرق الرجل وضعها ابن كيسان ... وأصل اشتقاقها من المخراق ، وهو منديل يلعب به . وجاءت اللفظة فى المقامات الحريرية فى

(١) الزمخشرى : من تحريف العامة رجع إلى رأس عمله .

(١) الأساس : وفى المثل : (أنا أعرف ا لخ) أى أمرنه ولا يخفى على كما لا تخفى على الأرنب .

المقامة الأربعين التبريزية : «فقال أبو زيد : إنها ومرسل الرياح ، لأكذب من سجاح . فقالت: بل هو ومن طوّق الحمامة ، وجنّح النعامة ، لأكذب من أبي ثمامة ، حين مخرق باليمامة .

وأما (الزرق) ، فهذا ما وجدته فيه . في اللسان والتاج : ورجل زراق خداع ، وفي شفاء الغليل : أكذب من زراق ، وهو الذى يقعد على الطريق ، فيحتال وينظر في النجوم ، وزرقت أى موهت عليه ، قاله أبو بكر الخوارزمى فى أمثاله ، ولم يذكر كونه مولداً ، لكنه مذكور فى اللغة الساسانية ، وهو يدل على أنه مولد[(١)]. وفيه : بنو ساسان قوم من العيارين والشطار ، لهم حيل ، ووضعوا بينهم لغة اخترعوها ، ونظم فيها أبو دلف قصيدة طويلة ، وكان الصاحب يتحاور معه بذلك اللسان ويعجب بحفظه ، وهى قصيدة بديعة مذكورة فى اليتيمة . ويقع من لغتهم كثير فى أشعار المولدين ، فلا يعرفها الناس ... منها قول أهل مصر لآكل الحشيش مسطول ، ومنها زرق ، وهو تعاطى التنجيم وصاحبه زراق .

ذكر الثعالبي فى اليتيمة صاحب القصيدة التى أشار إليها الخفاجى فقال : أبو دلف الخزرجى مسعر بن مهلهل شاعر كثير الملح والظرف ... وكان ينتاب حضرة الصاحب .. ويتزود كتبه فى أسفاره ، فتجرى مجرى السفاتج فى قضاء أوطاره ، ولما أتحفه أبو دلف بقصيدته ، وذكر (فيها) المكدين .. وأنواع رسومهم ، وتنادر بإدخال الخليفة الطيع فى جلتهم ... اهتز ونشط وأجزل صلته عليها .

يقول العلامة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده المصري (رضى الله عنه) فى شرحه مقامات أحمد بن الحسين الهمذانى :

« بنو ساسان الشحاذون وأهل المسألة ، وساسان يقولون إنه كان رجلا فقيراً حاذقاً فى الاستعطاء ، دقيق الحيلة فى الاستجداء ، فنسب إليه المكدون . وعندى أن الساسانية وبنى ساسان ، وما شاكل ذلك من الألفاظ المشيرة بالتحقير لساسان ، وأنه جد السفلة أو شيخهم ، إنما جاءت بعد زوال الدولة الساسانية من الفرس التى كان مؤسسها أردشير بابك ، فلما محقها الإسلام ، وبقى من أطرافها أفراد أذلاء سقطوا فى ألسنة فتيان المسلمين الأولين ، فكانوا يطردونهم من مكان إلى مكان ، ويعيرونهم بعنوان آبائهم . فبعد أن كانت نسبتهم إلى ساسان نسبة مجد وحسب صارت نسبة قذف وسب . وكان فى شهر هذا الإسم بالتحقير غاية سياسية فضلا عما تطمح إليه نفس الغالب من إذلال المغلوب ، وهى أن لا يبقى لدولة الساسانية ذكر فى لسان ، ولا أثر فى جنان ، ينبئ عن سلطانها أو رفعة شأنها ، وإذا خطر أمرها بالبال ، فلا يخطر إلا مع لازمه الجديد ، وهو السفالة والدناءة ، ثم نسى ذلك بمرور الأيام ، وبقى اللفظ مستعملا فى الشحاذين ، وهم أدنى طبقة فى الناس .

قلت : سجاح فى كلام الحريرى المذكور آنفاً هى بنت الحارث بن سويد بن عقفان من بنى يربوع ارتدت وتنبأت ، ثم حسن إسلامها ، وفيها يقول عطارد بن حاجب :

أمست نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

وأبو ثمامة هو مسيلمة بن حبيب الحنفى ارتد وفطس قتيلا كافراً و« لم يكن مسيلمة نبياً صادقاً ولا متنبياً حاذقاً » . كما قال الأحنف ابن قيس ، وقد عده غربانيون غربيون — مهرئين ومبطلين[(١)] — وطنياً ثائراً ... وهى عداوة الإسلامية لا تزايل علماء القوم فى أقوالهم ولا ساستهم — أرى الله بهم[(٢)] — فى أعمالهم . وقد نسبت إلى مسيلمة مقولات سخيفات صاغها صواغها كى يجعلوه شهرة ، منها قوله :

والمبذرات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما إهالة وسمنا — لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغى فناوئوه .

ومن تلك المقولات «ياضفدع ابنة ضفدع ...» وهى مشهورة.

---

(١) فى رسائل الهمذانى : « ... إلى حيث يتضح الحق ، ويفتضح الزرق » « عقد هذا المجلس فى دار من يفرق بين من يحق ومن يزرق »

قال العلامة الشيخ إبراهيم الأحدب شارح الرسائل فى تفسير الجملة الأولى : الزرق جمع أزرق ويراد به الأعمى ص ٤٢ . وقال فى تفسير الثانية : يزرق من زرقت عينه إذا انقلبت وظهر بياضها أو المراد من زرق الطائر أو من الزرقة ، وهو اللون المشهور ص ٥٧

قلت : التفسير الصحيح هو الموضح فى المتن ، وهو مراد الهمذانى . وقوله : (من الزرقة وهو اللون) الأصح وهى اللون .

(١) أهرأ : جاء بالهراء ، وأبطل : جاء بالباطل .

(٢) تقول العرب : أرى الله بفلان : نكل به ، ومعناه أرى عدوه فيه مايشمت به ، قال الأعشى :

وعلمت أن الله عمدا خسها وأرى بها . هذا تفسير الأساس ، وفى القاموس : أرى الله بفلان أى أرى الناس به العذاب والهلاك .

٢ – بمناسبة (المولد):

لا تخـــافوا...!

[مهداة إلى (جماعة الاخوان المسلمين)]

للأستاذ علي الطنطاوي

لا تخافوا ، فوالله لا الفرنسيون ولا آل صهيون ، ولا دول الأرض كلها تستطيع أن تبيد شعباً عربياً مسلماً ، أو تذلّه فتسلبه عزّة نفسه وقوة إيمانه . فجدوا واعملوا ، ولا تدخروا وسعاً ولا طاقة ، وفتشوا عن القادة ، فإنما تنقصنا القيادة ، ولكن لا تخافوا على عرب فلسطين أو أفريقية ، ولا على مسلمي أندونسية ، فإن « محمداً » قد وضع في دمائهم المصل الواقي من الخوَر والجبن والتهافت ، وصبّ المناعة في أعصابهم صبًّا ، وعلمهم الصبر على المصائب وإن تتالت ، والشدائد وإن تعاقبت ، مع العمل على دفع المصائب ورفع الشدائد ، فكان الجهاد في سبيل الله وبذل النفس من أجل الدين والشرف ، فطرة في أتباع « محمد » ، وخلقة فيهم لو أرادوا الانفكاك عنها ما طاوعتهم قلوبهم !

ألا ترون إليهم كم غامروا وجاهدوا واحتملوا من الأذى ، ثم ها هم أولاء يدعون إلى الجهاد نَزْلة أخرى فيمسحون الدموع ، ويربطون على الجروح ، ويقومون من القبور ، ويثبون مع الداعي يأخذون الطعام من أفواه بناتهم ، والكسى من نحور صبيانهم ، ليبيعوها فيشتروا البندقية ويمشوا إلى الجهاد !

أولئك هم الأبطال حقاً ، لا أعني الزعماء الذين يملأون بطونهم من الطيبات ، ويمضون إلى الحفلات بالسيارات ، ثم يقومون إلى المنبر لا يطيقون الوقوف من التخمة ، فيخطبون بصوت متقطع الأنفاس من البَشَم لا من الحماس ... يصرخون : نحن المجاهدون ، نحن الذين فعلوا والذين يفعلون ... ثم يروحون إلى دارهم فينامون وهم يحلمون بالمجد المؤثّل الذي شادته لهم خطبهم في الهواء !

ولا السياسيين الذين لا يعرفون من الوطنية إلا أنها أقرب الطرق إلى الكراسي ، فإن جاءت من قبل الشعب ، فهم من الشعب وإلى الشعب ، وإن لم تجيء إلا من الفرنسيس والإنكليز ، فما هم غرباء عن الإنكليز ولا عن الفرنسيس !

ولا التجار الفجار الذين يعبدون الدرهم والدينار ، والذين أجاعونا في هذه الحرب وعرّونا ، ليربقوا ما سرقوه من ثمن خبزنا وكسوتنا على قدمي كل بغي ، وزلفى إلى كل شيطان ، فهؤلاء جميعاً ليسوا منا ، وإنا منهم لبُرءاء !

وإنما أعني هذا الشعب الذي ثار في غوطة دمشق ، وميادين القاهرة ، وسهول العراق ، وصحارى طرابلس والجزائر ، ورحاب الريف الأقصى ، وثار في فلسطين من ديار الشام ، فأترع الدنيا بطولة ونبلا ...

هذا الشعب الذي خرج منه حارس أمّيّ من حراس الليل إلى غوطة دمشق ، فوقف على نهر ثورا ، وما نهر ثورا ؟ جدول عرضه سبعة أمتار ... ووقف جيش فرنسا في الشرق على الضفة الأخرى ، وبينهما جسر ، وما معه إلا فئة من الثوّار ، فلم يستطع جيش فرنسا وقائده الجنرال اجتياز هذا الجسر إلا بعد ما مات الحارس الدمشقي ، حسن الخراط[1] ، بعد ثمانية عشر شهراً كلها وقائع داميات ومعارك حاميات ، ولقد ردّ حسن وأصحابه الجيش الفرنسي مرّة حتى الجاوه إلى دمشق ، ثم حاربوه في شوارعها حتى أخرجوه منها إلى المزّة ، ولبثوا في دمشق ثلاثة أيام وما فيها فرنسي واحد .

هذا الشعب الذي فرّ ضابط من ضباطه من بغداد مع ستين جندياً ، إلى الصحراء التي قطعها (خالد) من قبل والعدوّ من أمامه ، والعدو من ورائه ، والعدوّ من فوقه ، ولو وقفت عليه سيارة ، أو كشفته طيارة ، لذهب بدداً ، فقطع الصحراء ، ثم بلغ فلسطين ، ثم قاد الثورة فيها ، فظفر كما ظفر خالد بالروم ، وقذف الله به الرعب في قلوب الجند ، فكانوا يرجفون هلعاً ،

(١) الذي وضع أول حجر في صرح الاستقلال ، وأول مسمار في نعش الانتداب . فلما ذهب الانتداب . وجاء الاستقلال نسي القائمون عليه أن يبنوا لحسن الخراط قبرا ، أو يجعلوا له في تاريخ الجهاد في المدارس ذكراً .

وينهزمون فزعاً إذا قيل : « فوزى القاوقجى » !

هذا الشعب الذى كان يحارب ضابطاً آخر من ضباطه مع فئات من أتباعه ، جيشان أوربيان جيش فرنسى فيه مائة ألف ، وجيش أسبانى فيه مائة وخمسون ألفاً ، هؤلاء كلهم يكافئون فى الميزان الأمير المسلم عبد الكريم بطل الريف(1) .

هذا الشعب الذى قابلت حفنة منه مفلولة السلاح ، قليلة العتاد ، انكلترا ذات الحول والطول ، ومالكة خمس العالم ، وثبتت فى وجهها سنتين اثنتين ، لا يوماً ولا يومين ، وأرتها من قوة الإيمان العجب العجاب :

بين يدى الآن عدد قديم من جريدة « بيروت » صادر سنة ١٩٣٧ ، أفتحبون أن ألخص لكم خبراً وجدته فيه :

« التقى فى (حيفا) نفر من المسلمين المجاهدين فى سبيل الله ، وفرقة آلية من الجيش البريطانى ، ودارت رحى الحرب ، فهجم المجاهدون على الدبابات والمصفحات ، فكان إيمانهم أمضى من نارها وأقوى من حديدها ، فنفذ منها إلى قلوب من فيها ، فلم تغن عنهم صفائحهم ولا بارودهم شيئاً ، وأعان الله عليهم حزبه بالرعب ، فانهزموا ، وهربت مصفحة ... فطارت على وجهها ، لا تلوى على شىء ، إلى ... أتدرون إلى أين ؟ إلى عكا ... إلى صور ... إلى صيدا ... إلى بيروت ... إلى طرابلس — إى والله — ولولا أن الأخبار سبقتها إليها حملتها الأسلاك ، فقطعوا عليها الطريق بالحجارة ، ووقفوها ، لولت منهزمة إلى بريطانيا ! »

هذا الشعب الذى أدهش أهل الدنيا بفتوحاته غابر الدهر ، وأدهشهم بثوراته حاضره ، وسيدهشهم فى مستقبله ويدعهم مفتوحة أفواههم من عظم ما يرون ، حين يثب الوثبة الكبرى ، التى يعود بها كما بدأ شعباً واحداً ، يعبد رباً واحداً ، ويتبع الكتاب قانوناً واحداً ، لا تعجبوا فتقولوا : أين السبيل إلى الاتحاد الإسلامى ؟ ! فهذه انكلترا لها خمس الأرض ، قد تفرقت بلادها فى أرجائها ، ثم إن لها ملكاً واحداً وراية ورابطة ، أفنعجز أن نوجد للمسلمين نظاماً جديداً مبتكراً ، يجمع متفرقهم ، ويدنى بعيدهم ، ويصلحهم ويصلح لهم ؟ !

***

وليس الذى انتصر حسن الخراط ، ولا فوزى القاوقجى ، ولا عبد الكريم ، لأنه لا يعقل أن يغلب أفرادٌ دولةً ، ولكن الذى انتصر هو الإسلام ، ولو ثار هؤلاء لغيره ما صنعوا شيئاً ، إذ يُتركون لقوتهم وذكائهم وعلمهم ، وأعداؤهم أشد قوة وأحد ذكاء ، وأكثر علماً . الإسلام أعجوبة الدهر الباقية ، معجزة كل عصر ، فيا أيها الأغبياء الذين يجرؤون على قياس الإسلام بنزوات هتلر ، وخيالات لينين ، وحماقات كل متسلط على العقول أو البلدان ، يحسب لجهله أنه يشرع ديناً ويضع شريعة ، إنكم لفى ضلال مبين ، أين دين الهتلرية ؟ لقد ذهبت به هزيمة واحدة ، وهزيمة مثلها تذهب بباقى الحاقات التى حسبتموها أدياناً !

أما الإسلام : فهو فى ذاته قوة لا يحتاج إلى قوة أتباعه ليؤيدوه بها ، بل هو الذى يؤيدهم بقوته فينصرون . ولقد تأخر المسلمون ورجع بهم الزمان القهقرى ، ولكن الإسلام نفذ من الحجب ، ولبث يتقدم . إن المبشرين ينفقون كل سنة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، ثم لا يأخذون واحداً ، حتى يأخذ الإسلام بغير مال ولا عمل تسعة وتسعين ...

الإسلام ينتشر اليوم بنفسه فى أرقى ممالك أوربة ، وفى أحط بقاع أفريقية ، والمبشرون لم يستطيعوا أن يدخلوا فى النصرانية (مسلماً) واحداً . إنهم يجمعون الجهلة من المغاربة الذين لا يعرفون ما الإسلام ، فيطعمونهم ويطمعونهم ، ثم يلقون عليهم عجائب المسيح ، فإذا وصلوا إلى موضع المعجزة ، صاحوا كلهم بلسان واحد متعجبين : الله أكبر ، لا إله إلا الله !

وينزل المبشر على القبيلة فى أواسط أفريقية فيعطى ويرغّب ، ويبقى سنة كاملة ، فلا يستجيب له منها إلا النفر المعدودون ، ثم يأتى التاجر المسلم الجاهل ، فينام عندهم ، ويأكل طعامهم ، فلا يأتى الشهر حتى تكون القبيلة كلها قائمة وراءه تصلى على دين « محمد » ... والمبشرون ينظرون ! !

(1) وقد نسى الناس أن يبحثوا : أين اليوم عبد الكريم ، وماذا فعل الله به ؟ !

أفتشكّون بعد هذا أن الإسلام قوة هائلة للمسلمين ؟ !

هل عرفتم الصواعق المنقضة ؟ هل رأيتم الصخور المنحطة من أعالي الجبال ، والسيول الجارفة ، والبركان الهائج ، و ... وكل ما في الكون من قوة ؟ إنها لن تصد غضبة المسلم إذا كانت لله ولمحارمه ولدينه ! هل فيها أشد من الموت ؟ فهل يخيف الموت رجلاً خرج يطلب الموت ؟ !

* * *

إن سر قوة هذا الشعب ، إنما هي عقيدة القضاء والقدر على الوجه الإسلامي الصحيح ، ولكن القادة قلما يدركون هذا السر وقلما يعمدون إلى الاستفادة منه ، لأنهم نشأوا يوم كان الشرق ينظر إلى أوربة نظر التائه في البحر إلى النار الهادي ، ويأخذون كل ما يأتيهم منها على أنه الحق الصراح ، فكان فيما أخذوه وقلدوا فيه بلا فهم ، مبدأ (فصل الدين عن السياسة) ، ورأوه استقام في النصرانية ، فحسبوه يستقيم في الإسلام ، وما درسوا الإسلام على حقيقته ، حتى يعلموا أنه دين وسياسة وأخلاق ، وأن سورة (براءة) سياسة ، أفنفصل سورة (براءة) عن القرآن ؟!

وأمر آخر ، هو أن هذا الشعب تلقى عشرة آلاف دعوة إلى البذل في سبيل الله ، فلباها كلها ، ولكن الدعاة لم يكونوا يبلون أنفسهم في كل حين ، وكان فيهم من يلقى كلمته لا يتصور منها إلا ألفاظها ووقعها في الآذان ، فهي من لسانه إلى أسماع الناس ، لا من قلبه إلى قلوبهم ، فهو من أجل ذلك يدع الشعب وحده ويمضي إلى داره ليتحدث عن براعته في الإلقاء ، وقدرته على الخطابة ، وفيهم من يريد أن يسوق الناس ويقعد ، وهذا الشعب لا يطيع إلا من يمشي أمامه ، ويشاركه سرّاءه وضراءه ، أما المترفون الذين يريدون أن يناموا على عواتق الشعب ، ويغتنوا من مال الشعب ، فإن هذا الشعب ينكرهم ويبرأ منهم فعلى الزعماء أن يفهموا ذلك حق الفهم ، وأن يكون لهم في رسول الله أسوة حسنة ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه ، يجوع كما يجوع قومه ، ويتعب كما يتعبون ، ويعمل بيده مثلما يعملون ، بنى معهم مسجد المدينة ، وحفر معهم الخندق ، وكان يسرع إلى الخطر بنفسه . وقع الصريخ مرة في المدينة ، فخرج الناس عجلين ، فإذا هم برسول الله ، قد وصل إلى مكان الخطر على فرس عريان ، لم ينتظر حتى يسرج له ، ورجع يطمئنهم بأنه لا شيء هناك . ولقد ثبت يوم أحد ويوم هوازن لما انهزم الناس ، وكان يقول معرفاً بنفسه : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب . لم يسق الناس إلى الموت ويقم في قصره ، ولم يختص نفسه بمأكل ولا ملبس ولا مركب ، ولم يربط لنفسه وظيفة من بيت المال ، ولم يحمل أسرته وأهله على الناس ، ولم يول عاجزاً ولاية لصداقة أو قرابة ، ولم يبعد عنها قادراً لبغض أو عداوة ، ولم يتخذ قصراً ، ولم يقم حاجباً . وكذلك كان خليفته وصاحبه أبو بكر ، وكذلك كان أمير المؤمنين عمر ، ومن أجل ذلك أجمع الناس على طاعة أبي بكر وعمر ، فلم يختلف عليهما اثنان !

أما إن هذا الشعب أقوى الشعوب روحاً ، وأطيبها عنصراً ، وأصفاها جوهراً ، ولكنه ينقصه الزعماء ، فهاتوا واحداً مثل عمر يقوده ، وانظروا كيف يأتي بالمعجزات !

(دمشق) **علي الطنطاوي**

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١ —



بين عهدين : عصر إليزابث وعصر البيوريتانز

في اليوم التاسع من شهر ديسمبر سنة ١٦٠٨ ، فتح الوليد جون ملتن عينيه على نور الوجود ؛ وبمولده رزقت انجلترة أعظم شعرائها قاطبة حتى يومنا هذا ، إذا استثنينا «شكسبير» وحده ، واستقبلت الدنيا قرين الثلاثة الأفذاذ من شعراء الغرب الخالدين : وهم « هوميروس » و « دانتي » و « شكسبير » .

وكانت انجلترة حين مضى الطفل يستقبل حياته ، تستدبر في حياتها الأدبية عهداً وتستقبل عهداً . كانت إذا شبهنا ذينك العهدين بفصلين من فصول السنة ، بين أعقاب الربيع وطلائع الصيف ؛ فأما الربيع المدبر ، فكان العصر الأليزابيثي ، وأما الصيف المقبل ، فكان العصر البيوريتاني . ولقد ألف مؤرخو الأدب الإنجليزي أن يسموا العصر الأول عصر « شكسبير » ، والعصر الثاني عصر « ملتن » .

وكان العصر الذي تستدبره انجلترة ويستدبره ذلك الوليد ، عصراً فذاً في العصور الأدبية جميعاً ، إذا استعرضنا التاريخ الأدبي لهذه الدنيا قديمها وحديثها ...

كان حافلا كما يحتفل الربيع بالضوء والنماء والزينة ، وكانت ألحانه كألحان الربيع أنماطاً تملأ الأسماع من كل ركن وفي كل سهل ، وكانت نفوس أهله تستشعر روح العصر كأقوى ما تستشعر الأنفس روح الربيع ، ففي كل قلب تسري الفرحة ، وفي كل جسم تدب القوة ، وفي كل ذهن يقوم إحساس قوي غامر بجمال الحياة ، والأمل في الحياة ، والرغبة في الاستزادة من لذائذ الحياة ...

وإنك لتجد لهذا العصر روحاً مميزة شاعت في حياة الناس ، وسيطرت على تلك الحياة ، وتتلخص هذه الروح فيما يفهم من كلمتين هما النهضة والحرية : فأما الأولى ، فقوامها إحياء علوم الأقدمين من اليونان والرومان ، وإحياء فنونهم وآدابهم ؛ وأما الثانية ، وهي ثمرة للأولى ، فقوامها الانطلاق من ليل العصور الوسطى ، والانعتاق من قيودها إلى حيث يفيض النور ، ويتسع مجال التفنن والابتداع .

أقبل الناس على دراسة مخلفات اليونان والرومان في حماسة ولذة ، وآمن الناس إيماناً قوياً بأن لهم أن يستمتعوا بالحياة أعظم استمتاع وأوسعه ، فيغنموا ما في الدنيا من مسرات وزينة ؛ فما منحوا الحياة لكي يقضوها مترمتين منها برمين بها ؛ وأيقن الناس أن من أهم ما يجب أن تتصف به حياتهم الجديدة هو بث روح الجمال في النفوس والعمل على السمو بها حتى تستشعر الجمال وتبحث عن الجمال وتأنس به لا كتمة من متع الدنيا فحسب بل كنشوة روحية لا غنى للروح عنها إن هي أرادت التحليق والسمو . وتمسك الناس بفكرة لن يحيدوا عنها ، وذلك أن الله وهبهم العقل لينظروا ويتدبروا غير مقيدين بما سلف من آراء مهما بلغ من قيمتها ، ولذلك كرهوا القيود كرهاً شديداً وأحبوا الحرية حباً شديداً ، وظهر أثر هذا الحب فيما ابتدعوا من شعر ونثر ، لا في مادة ذلك الشعر وذلك النثر فحسب ، ولكن في الطريقة والصورة بل وفي الألفاظ المستعملة كذلك .

وملأ قلوب الناس التطلع إلى توسيع أفق الحياة العقلية فى كل ناحية من نواحيها ، وقد جاءهم ذلك مما تم لهم فعلا من توسيع أفق الحياة المادية بعد كشف الدنيا الجديدة ، نتيجة لمغامرة المغامرين منهم وراء البحار فى الغرب وفى أسواق آسيا فى الشرق؛ وأقبل الناس على كل طريف يتقصونه من الأنباء عن العالم الجديد وعن الشرق ، فأثر ذلك فى اتجـــاه عقولهم وفيما أنتجته تلك العقول ، تلمس ذلك فى الكثير من قصصهم ومسرحياتهم وما تعج به من مواقف مثيرة وحوادث تستهوى الألباب وأفانين من مبتدعات الخيال تبث المرح فى النفوس وتحملها على الإعجاب والاستزادة وتيسر لها سبل الابتكار والخلق .

وطاف بالناس شعور بمجد وطنهم وعظمته وتفوقه على غيره ، وبخاصة بعد أن حطم أسطولهم الأرمادا أسطول أسبانيا الهائل ؛ كما ملأت أفئدتهم وطنية صادقة يلتقى عندها ويتفق عليها المتنازعون فى الدين من الكاثوليك والبيوريتانز ؛ وإلى جانب ذلك كله أنجب العصر من أفذاذ الرجال فى كل ميدان من ميادين الحياة ما يصعب الوقوع على أمثالهم مجتمعين على هـذا النحو فى غيره من العصور ، فلم تخل ناحية من النواحى من أماثل نابهين ، ففى الأدب والفن والفلسفة وفى الجندية والبحرية والسياسة والحاشية عظماء يزدان بهم العصر وتعظم بهم الحياة .

هذا هو العصر الذى كانت تستديره انجلترة ويستديره ملتن ، أو هذا هو الربيع الراحل ؛ ولن تعدم العين فى أخريات الربيع أن تقع على زهرات شتيتة هنا أو هناك فى جنته التى تنذرها أنفاس الصيف بالفناء القريب ؛ ولن تعدم الأذن كذلك أن تسمع فى ذلك الفردوس الذاهب نغمات حائرة بين الحياة والموت . وكذلك كان الحال فى أخريات عهد إلزابث ، فكانت بعض ثمرات العقول مثل كتابات بيكون لا تزال تقدم إلى المجتمع ، كما كانت بعض ألحان العصر كأصداء الربيع الذاهب لا تزال توقع على أوتار شكسبير إذ لم تسكت تلك الأوتار إلا بموت صاحبها عام ١٦١٦ أى بعد ثمانية أعوام من مولد ملتن .

وأقبل الصيف فى إثر الربيع فجاء منذراً بالقيظ تلفح أنفاسه لفحاً يبدو قاسياً وتشمر النفوس فى مقدمه بالصرامة والقسوة والعبوس حتى كان ينسيها ذلك طلاقة الربيع ومفاتن الربيع .

تمكنت البيوريتانية من المجتمع وتسلطت على الناس ؛ وكان ملتن يستقبل شبابه بينما كان ذلك المذهب يستقبل فتوته وسلطانه . واعتنق ملتن ذلك المذهب وتحمس له ، ولكن كانت قد استقرت فى حسه وخياله تلك المواكب التى انطوت ، وتلك النغمات التى احتبست ، فراح كالطائر النفرد المتخلف يغنى فى هجير الصيف ألحان الربيع !

وما هذه البيوريتانية التى سوف يعتنقها الشاعر فى شبابه والتى سوف تؤثر تأثيراً قوياً فى مزاجه وفنه وسلوكه وموقفه من حياة عصره ؟ أجل ، ما هذا الصيف الصارم العابس الذى أعقب ذلك الربيع الرضى الطلق ؟

* * *

جدير بنا أن نعرف أولا من هم البيوريتانز ولماذا أطلق عليهم هذا الإسم قبل أن نتعرض لمذهبهم ونظرتهم إلى مسائل الحياة وأثر تلك النظرة فى العصر الذى تم لهم فيه السيطرة والجاه .

أطلقت هذه الكلمة أول ما أطلقت على فريق من رجال الكنيسة فى انجلترة فى عهد الملكة إلزابث ، فقد أرادت هذه الملكة أن توحد طقوس العبادة فى كنائس مملكتها جميعاً ، وكان أبوها الملك هنرى الثامن قد فصل الكنيسة فى انجلترة عن كنيسة روما عام ١٥٢٩ بسبب ما شجر بينه وبين البابا من خلاف يتصل بقضية زواجه ، وجعل الملك نفسه الرئيس الأعلى للكنيسة بدلا من البابا ؛ فأصدرت الملكة عام ١٥٥٩ المرسوم الذى يوحد العبادات ويحرم من صورها ما لم يرد ذكره فيه ؛ فكان رجال الدين حيال هذا المرسوم فريقين ، فريقا رضى عنه ، وفريقا ود لو أنه كان أكثر تطرفا فى الابتعاد عن روما فأبطل ما لا يزال من صور العبادات يأتى على شاكلة ما يتبع فى الكنيسة البابوية وما يعد فى نظرهم من البدع والخرافات . وهذا الفريق الثانى هم الذين أطلق عليهم إسم البيوريتانز أو المطهرون ، وذلك لأنهم كانوا يريدون تطهير العبادات من آثار كنيسة روما . ولم يمض على

صدور ذلك المرسوم إلا نحو خمسة أعوام حتى كان هذا الإسم شائعاً على الألسن يطلقه الناس على هذه الفئة المغالية فى القضاء على كل ما له صلة بروما .

ولكن ما هى إلا أعوام ثمانية أخرى حتى خرج بعض الناس ممن كرهوا هؤلاء الغالين بهذا اللفظ عن مدلوله البسيط فصاروا يطلقونه على كل من يرمونهم بالمروق من الدين ليلحقوا وصمة الفسوق بالبيوريتانز إذ يسلكونهم والفاسقين والمنافقين فى سلك واحد ، حتى لقد أوشك أن ينسى مدلول الكلمة كما نشأت فى وضعها الأول وأصبح البيوريتانز فى نظر خصومهم ومن يجهلون أغراضهم هم الضالين الملحدين .

وتزايد استعمال الكلمة فى مدلولها الجديد الظالم حتى أصبحت البيوريتانية فى أذهان بعض الناس مرادفة للإلحاد والنفاق والضلال وما كانت حين نشأت إلا الرغبة فى الاصلاح والتطهر من البدع والتملص من كل ما لا يعد من جوهر الدين .

وزاد بعض خصوم المذهب بعداً بالكلمة عن معناها الأول فنسوا ما فى ذلك المعنى من عنصر دينى طيباً كان ذلك العنصر أو خبيثاً ، وصارت عندهم كلمة سباب عامة يعبرون بها عن كل معيب ويطلقونها على كل من يريدون الطعن فيهم من الناس كما يطلق لفظ الشيطان مثلا على كل شرير أو معتد أو عابث .

ولما شاعت البيوريتانية فى المجتمع ونمت كمذهب لا يقتصر على النظرة الدينية بل يتناول كذلك السياسة والخلق والفكر والفن دأب خصوم هذا المذهب فى محاربته بالطعن فى أشياعه، وحسبهم أن يطلقوا على الرجل منهم ذلك اللفظ الذى بعد عن مدلوله كل البعد والذى أصبح مسبة عامة ليشفوا ما فى صدورهم من غل . نجد مثلا واضحا لذلك فى العبارة الآتية التى وصفت بها كاتبة فى أوائل القرن الثامن عشر ما كان يلاقى البيوريتانز من خصومهم فى عهد الملك جيمس الأول الذى خلف إلزابث على العرش عام ١٦٠٣ أى بعد نحو أربعين عاما من مبدأ ظهور البيوريتانية قال: « إذا أظهر الرجل حزنه على ما ينال شرف المملكة وما يصب من العذاب على رؤوس الرعية فهو بيوريتان ؛ وإذا تمسك أحد أفاضل الريف بقوانين الأرض وحرص على المطالبة بحسن الإدارة وانتظام الحكم فهو بيوريتان ؛ وجميع من لا يأبهون بمطالب رجال الحاشية المتدة أيديهم والقساوسة المتدين على الحقوق وذوى الرذيلة من النبلاء فهم كذلك بيوريتانز ! ومن لا يطيقون سماع الأيمان الحانثة والحوار الذى يكتنفه الأسفاف ، والتعريض الماجن والاستهزاء بكلام الله فهم جميعا فى عداد البيوريتانز ؛ ومتى كانوا بيوريتانز فهم أعداء الملك وحكومته وهم متمردون متبجحون منافقون وهم الطاعون فى هيكل المملكة »

على أن هؤلاء البيوريتانز على الرغم من مطاعن خصومهم يتكاثر عددهم ويتغلغل فى النفوس مذهبهم منذ أواخر القرن السادس عشر، ولن يزالوا فى تكاثرهم وتحمسهم حتى تم لهم السيطرة السياسية على البلاد عقب الحرب الأهلية التى انتهت بأعدام الملك شارل الأول ، وكان مرد الانتصار على الملك وحزبه إلى عبقرية حربية ظهرت فى شخص أليفر كرمويل أحد أشياع ذلك المذهب .

يتبع

الخفيف

العـــرب واليهود

للدكتور جواد على

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

وقد قرب هذا الدور على الأخص اليهود من العرب كثيراً . فإن دخول اليهود إلى أراض عربية بحتة والتجاءهم إليهم بعد طردهم عن أوطانهم ، جعلتهم يطلبون حماية العرب . ولأجل تقريب أنفسهم من القبائل العربية تظاهروا بروابط النسب والقربى ونشروا سلسلة الأنساب المعروفة عند العرب . وحاولوا ولا شك التأثير على العرب من النواحي الأخرى ، من النواحي الدينية ومن النواحي الثقافية ؛ إلا أنهم لم يتمكنوا من التأثير في العرب من الناحية الدينية على مايظهر ، فقد كان للعرب منذ القدم اعتزاز عظيم بآلهتهم وبأصنامهم ، ولم يكن من السهل عليهم ترك عبادة هذه الأصنام . في حين أن اليهود كانوا يعبدون إلهاً واحداً خلق هذا الكون بأجمعه ، إلا أنه إله شعب واحد هو إله إسرائيل فحسب . والظاهر أنهم لم يرغبوا في إشراك شعب آخر بعبادة هذا الرب الذي خصص نفسه بهذا الشعب .

أما من النواحي الأخرى فلم يكن هنالك مانع يحول بين اليهود وبين الشعوب الأخرى ، لأن في رابطة النسب خدمة عظيمة تساعد هذه الجاليات اليهودية كثيراً ؛ فنشروا الأساطير اليهودية بين العرب وعلومهم شيئاً كثيراً من أخبار التوراة ، ولا سيما ما يخص الخلقة ومنشأ التكوين وقصص بني إسرائيل . يجعل جدول الأنساب الوارد في العهد القديم العرب في نفس الحقل الذي دون فيه نسب اليهود . فابراهيم هو جد العرب الأكبر كما هو جد اليهود . وإذا كان إسماعيل هو والد العرب الإسماعيليين وهو ابن ابراهيم فإن اليهود وهم من نسل ابراهيم على هذا هم أقرباء العرب وأبناء عمهم ومن شجرة واحدة .

وتنتسب بعض القبائل العربية الشمالية إلى إبراهيم رأساً . وإبراهيم على ما تقول التوراة لم يترك له خلفاً في البلاد العربية ، وإنما ذهب نسله إلى تلك البلاد ، وأن إبراهيم كان قد ذهب إلى فلسطين فانتشر أحفاده الذين تكاثروا وظهرت من ذرياتهم تلك الشعوب(١) .

وإسماعيل هو ابن إبراهيم من زوجته هاجر التي تعرف عليها أثناء هجرته إلى فاران (paran) في القسم الشمالي من شبه جزيرة طورسيناء . وقد ترك إسماعيل له اثنى عشر ولداً تشعبت منهم القبائل الإسماعيلية التي انتشرت في شبه جزيرة طورسيناء وفي وادي الأردن(٢) . وعلى هذه النظرية العبرية يكون موطن القبائل الإسماعيلية هذه المنطقة التي نزل بها إبراهيم وإسماعيل وهي منطقة فلسطين وطورسيناء وشرق الأردن ومنها انحدرت القبائل الإسماعيلية إلى سائر الأنحاء كالحجاز .

ومن رأى المستشرق مركليوث أن كلمة « اسماعيل » العربية التي وردت في القرآن الكريم عدة مرات ، هي ذات الكلمة التي وردت عند اليهود بصورة « يشماعيل » مبتدأة بحرف العلة . وإن هذا التشابه يجعلنا نعتقد بأن العرب قد أخذوها عن اليهود بطريق اليونانية أو السريانية ، لأن النصوص العربية القديمة التي وردت فيها كلمة « اسماعيل » كانت تكتبها « يشماعيل » ، أى مبتدأة بحرف « ى » ، أى على نحو ما كان يدونه اليونان أوالسريان(٣) .

ويرى هذا المستشرق أيضاً أن العرب القدماء لم يكونوا يعرفون شيئاً عن ابراهيم ، ثم تعلموا ذلك في أيامهم المتأخرة بعد اتصالهم بيهود الحجاز ، فلما تعلموا ذلك صاغوا الكلمة بالقالب الذي صاغوا به كلمتي « إسماعيل » و « إسرائيل » وما شابه ذلك(٤) . وعلى كل ، فإن هذا هو رأى مستشرق وهو رأى يحتاج إلى دليل .

وبما دامت معرفتنا بالأساطير العربية القديمة وبديانة العرب وأخبارها لا تكاد تكون شيئاً ، فإننا لا نستطيع أن نبحث في هذا الباب بحثاً صحيحاً . والمصادر العربية الكتابية لا تشير على كل حال بأية إشارة إلى اطلاع العرب على جداول الأنساب اليهودية ، بل يظهر منها أن القبائل العربية كانت تنتسب حينما تنتسب إلى آلهتها المحلية ، فقد كان لكل قبيلة صنم أو أصنام

(١) مرجليوث Margoliouth p, 12

(٢) Hastings. Dictionary of the bible p,22

(٣) Margoliouth p, 12

(٤) نفس المصدر .

تنتسب إليه أو إليها ، وقد كانت هـذه الأصنام هى رابطة تلك القبائل، وكانت تحتمى بتلك الأصنام، كما تدل على ذلك عبارات مثل «عم صدوق» أو «عم نكرح» وما شابه ذلك[1] .

وإذا ما تقوت القبيلة وازداد نفوذها ، تقوى صنمها طبعاً ، وكثر أتباعه ومعظموه ، فتندمج القبائل المتحالفة بها ، وتنتمى إليها وتنتسب إلى ذلك الصنم ، وتصبح وكأنها من نفس تلك القبيلة[2] . وهذا النوع من النسب الذى يكثر وجوده فى مملكة المعينين والسبئيين لا يشابه جدول الأنساب عند اليهود[3] .

وقد حاول المستشرق ماركليوث البحث عن الوطن الأصلى لليهود ، ذلك الوطن الذى أهملته الكتب اليهودية تماماً ولم تتعرض له ألبتة . وقد قارن بين أسماء الآلهة عند اليمانيين وطريقة التفكير الدينى والمعتقدات وأسماء الأشخاص عند عرب الجنوب وبينها عند اليهود ، فتوصل إلى رأى هو أن الوطن الأصلى لليهود لم يكن أرض فلسطين أبداً ، بل قد تكون أرض اليمن ، وهى أرض الهجرات السامية ، ذلك الوطن الذى ارتحل عنه هذا الشعب[4].

على كل ، فقد هاجر اليهود إلى أرض فلسطين ، وصاروا يحاربون الأمارات والمشيخات مدة طويلة . وقد تألف من هذه الأمارات حلف قوى لطرد العبرانيين أمثال : الكنعانيين والعموديين والحيثيين والفلسطينيين الذين كانت لهم حكومة متحالفة تشمل خمس مدن أو أمارات صغيرة ، هى غزة وأشدود وعسقلان «اشقلون» وجت «معناها المعصرة» وعقرون[5] .

أضف إلى كل ذلك الأمارات الأخرى أمثال إمارة العموتيين وإمارة بنى عمون[6] وإمارة موآب[7] وأدوم التى تقع فى جنوب البحر الميت على تخوم موآب فى مرتفع من الأرض يطلق عليه اسم جبل سعير . وقد عارضت كل هذه الأمارات الاسرائيليين وقطعت عليهم الطريق ، وكبدوهم خسائر كثيرة لم تنقطع طول مدة بقاء اليهود فى فلسطين .

(١) نفس المصدر .
(٢) نفس المصدر راجع Rhodokankis stud.
(٣) Margoliouth p, 13 (٤) Margoliouth p, 12
(٥) قاموس الكتاب المقدس جـ ٢ ص ١٨٢ hastings p ,674
(٦) قاموس الكتاب المقدس جـ ٢ ص ١١٦ .
(٧) قاموس الكتاب المقدس جـ ٢ ص ٣٨٥ .

دخل اليهود فلسطين ومعهم فكرتهم الدينية ، إلا أن هذه الفكرة لم تكن تتجاوز تلك العقيدة التى نقرأها فى التوراة والتى تتمثل فى سفر يشوع على الأخص . وهى أن إله إسرائيل قد وعد شعب إسرائيل بأرض إسرائيل ، فعلى هذا الشعب أن يخلص تلك الأرض من أيدى الشعوب الساكنة فيها ، وعلى يشوع أن يتشجع ويحارب ليخلص تلك الأرض وليسيطر عليها من نهر الفرات الكبير إلى البحر[1] . فلما دخل الاسرائيليون تلك الأراضى وجدوا شعوباً كانت مقيمة فيها خضعت لهم ولكنها لم تخرج عن أرض فلسطين بل ظلت جذورها باقية إلى زمن الفتح الاسلامى[2] . ويرى بعض الاختصاصيين فى التاريخ العبرى أن الكنعانيين من شعوب فلسطين القديمة على الأخص لم يرحلوا عن فلسطين بل ظلوا فيها إلى الفتح الاسلامى . ولما أصبحت فلسطين أرضاً إسلامية دخل هؤلاء فى الديانة الاسلامية وظل بعضهم على دين النصارى حتى هذا اليوم . ويستطيع الانسان على ما يقوله هؤلاء الثقات فى التاريخ العبرى أمثال الأستاذ روبنسون والسير فرازر أن يلاحظ ملامحهم فى سكان فلسطين الذين يتكلمون اللغة العربية ، إلا أن كثيراً منهم ينحدر من ذلك الجيل الكنعانى القديم صاحب فلسطين قبل هجرة العبرانيين إلى الأرض الموعودة بمئات وألوف السنين[3] . وهم يمثلون اليوم أرضهم خير تمثيل[4] .

وهنالك فرق عظيم بين هذه الهجرة العبرية التى كانت تحمل فكرة دينية وبين تلك الهجرة الاسلامية التى كانت تحفزها فكرة دينية أيضاً . فالمسلمون الذين غادروا الحجاز لنشر كلمة التوحيد لم يكتفوا بالحجاز أو فلسطين أو سوريا والعراق وبشبه الجزيرة كلها ، بل أرادوا فوق ذلك نشر دين الله فى جميع أنحاء الأرض فى كل بقعة يقيم فيها إنسان . ففكرتهم إذاً فكرة إنسانية عالية تستوى عندها جميع الأقوام والجنسيات فى الحقوق والقانون . أما هجرة العبرانيين فقد كانت موضعية تريد شعباً واحداً من بين سائر الشعوب .

جواد علي

(١) راجع سفر يشوع أصحاح ١ آية ١ وما بعد .
(٢) Th. Robinson a history of Israel. Jeffries p, 5
(٣) James Frazer jeffries p 5 falk lore in the old testament
(٤) Jeffries p, 5

الـكذب والنسيان

كما يراهما « أبو العلاء المعرى »

للأستاذ كامل كيلانى

— ٢ —

١٠ — قصر الكنية

ثم راح يعاتبه على قصر كنيته ، بعد أن امتدحه فى رسالته تلك بأنه قد برأ نظمه من الضرورات التى يضطر إليها غيره من الشعراء ، فقال بعد بيان ممتع : فمن هجر هذه الضرورات وغيرها مما لو ذكرته لطال به الكتاب ، كالتقديم والتأخير ، والفرق بين المضاف والمضاف إليه .. فكيف استجاز أن يقصر كنية صديقه .أما السِّمة (أى:الإسم)فغيرها ، وأما الكنية فقصَرها. فإنا لله وإنا إليه راجعون . هـذا أمر من الله ، ليس من ضعف الشاعر ولا وهن القائل ، ولكنه من سوء الحظ لمن خوطب ، بالاتفاق الردىء لمن سُمّى وذكر .

١١ — ضرورات الشعر

ثم قال وأبدع : ولا يقل سيدى الشيخ — أدام الله عزه — قد نصرت الشعراء ، قديمها ومولَّدُها ، وأولها السالف وآخرها ، وفصيحها الطِّبِيعى[1] ومتكلَّفها .

فإنه لو كان استعمل ضرورة غير تلك لقبلت حجته . ولكنه ألنى الضرورات بأسرها ، ورفض العيوب فلم يستعملها . وإنما تنوّنت من ذلك لأنى قصير الهمة ، قصير اليد ، مقصور النظر (أى : مكفوف) مقصور فى البيت (أى : لازم له) محبوس فيه . فما كفانى ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف إليه قصر الإسم . لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١٢ — سبب النسيان

وما زال المعرى ينتقل فى هذه الرسالة من طرفة إلى طرفة ، ومن دليل إلى دليل ، وهو يدس فى أثناء مديحه عتابه ، ويمزج شهد الكلام وصابه ، حتى كشف لنا عن سر ذهول صاحبه عن اسمه . فقال : وفى كتابه — أدام الله عزه — شكوى رعشة ، وما أعرف سبباً يؤدى إلى ذلك إلا أن يكون الافراط فى درس العلم ، فقد قال الشاعر :

أرعشتنى الخمر من إدمانها ... ولقد أُرعِشتُ من غير كبر

والعجيب أن المعرى كان لا يخشى من مصائب الدهر إلا أن تسلمه الشيخوخة إلى الذهول والنسيان وتفضى به إلى الهتر والخبال ، فقال فى لزومياته :

وما أتوقى والخطـوب كثيرة
يد الدهر إلا أن يَحُل بى الهُتْرُ

والهتر — وقاكم الله ووقانا شره — هو ذهاب العقل من كبر ، أو مرض ، أو حزن . ولقد ظل شيخنا محتفظاً بيقظة ذهنه ورجاحة عقله حتى لحن ذات يوم ، فتنبأله بعض خاصته بدنو أجله ، وصح ظنه فمات بعد أيام قلائل .

أما النسيان فيعلله المعرى فى رسالة الغفران أبرع تعليل فى حوار ابن القارح والجنى أبى هدرش . يقول ابن القارح : « أيها الشيخ ، لقد بقى عليك حفظك » فيقول الجنى : « لسنا مثلكم يا بنى آدم يغلب علينا النسيان والرطوبة ، لأنكم خلقتم من حما مسنون ، وخلقنا من مارج من نار » .

-- طول الأمد

وإذا علل أحد الشعراء نسيانه بفرط الحب ، فقال :

« وحبك قد أنسانىَ الشىء فى يدى
وأذهلنى عن كل أمر أحاوله »

فإن المعرى يرى أن طول الأمد كفيل بنسيان كل شىء ، فيقول فى لزومياته :

« كل ذِكرٍ من بعده نسيانُ ... وتمرُّ الدهور والأزمانُ
ويقول :
سيُنْسَى كل ما الأقوام فيه ... ويختلط الشآمى باليمانى
ويقول :
وسوف ننسى فنمسى عند عارفنا ... ومالنا فى أقاصى الوهم أشباحُ
ويقول :
سيسأل ناس ما قريش ومكة ... كما قال ناس ماجديس وماطسم
أرى الدهر يفنى انفسا بفنائه ... ويمضى فما يبقى الحديث ولا الرسمُ

(١) هذه الكلمة نص علائى يقطع بأى كلمة طبيعى هى الصواب لا كلمة طبعى .

١٤ — الهول والفزع

والمعرى يرى أن الهول والفزع ينسيان أذكر الناس وأذكاهم ، فترى في غفرانه صاحبه ابن القارح يسأل الخليل بن أحمد في الجنة عن أبيات ينسبها الرواة إليه فيقول الخليل :

« لا أذكر شيئاً من ذلك ، ويجوز أن يكون ماقيل حقاً »

فيقول ابن القارح : « أنسيت يا أبا عبد الرحمن وأنت أذكى العرب في عصرك ؟ » فيقول الخليل : « إن عبور الصراط ينفض الخلد مما استودع » .

ونرى أبا العلاء يتخيل صاحبه ابن القارح وهو يسأل « تميم ابن أُبَيّ » عن معنى كلمة المرانة التي وردت في قوله :

« يا دار سلمى خلاءً لا أكلّفها
إلا المرانةَ حتى تسأم الدّينا »

فيقول تميم : « ما أردت بالمرانة فقد قيل إنك أردت اسم امرأة وقيل هي اسم أمة ، وقيل العادة » فيقول تميم : « والله ما دخلت من باب الفردوس ومعي كلمة من الشعر أو الرجز . وذلك أنني حوسبت حساباً شديداً ، وقيل لي كنت فيمن قاتل « علي بن أبي طالب » وانبرى إلى النجاشي الحارثي ، فما أفلت من اللهب حتى سفعتني سفعات . وإن حفظك لمبقّى عليك . كأنك لم تشهد أهوال الحساب الخ .

١٥ — هول الموت

أما هول الموت فينسى كل شيء ويذهل الشجاع عن كل شيء . قال المعرى :

والموت ينسى كميَّ الحرب صارمه
ودرعهُ وفتاة الحي مجْولَها

وقال :

وأظنني أن لست أذكر بعده   ما كان من يُسر ومن إملاق

١٦ — نشوة الخمر

وقد رأينا — فيما سبق — كيف رأى في الخمر مذهلا له عن كُربته ، منسياً لغربته ، فتمنى أن تصبح حلالا لتذهله عن همومه وأحزانه ، فلا يفوتنا أن نذكر قوله في لزومياته :

« أيأتى نبي يجعل الخمر طلْقة   فتحمل ثقلاً من هموى وأحزاني
وهيهات لوحلت لما كنت شارباً   مخففة في الحلم كِفّة ميزاني »

١٧ — شعر آدم

والمعرى يقول في لزومياته في معرض الإشارة إلى نسيان الشيخ آدم أبي الخليقة :

احتج في الغى بالنسيان والدهم
وقد غووا بادكار ، لا أقول : نَسُوا

ويقول في غفرانه ، متخيلا صاحبه ابن القارح وقد عمد لحله في الجنان ، فيلقى آدم عليه السلام ، في الطريق ، فيقول : يا أبانا صلى الله عليك ، قد رُوى لنا عنك شعر ، منه قولك :

نحن بنو الأرض وسكانها   منها خلقنا وإليهـا نعودْ
والسعد لا يبقى لأصحابه   والنحس تمحوه ليالي السعودْ »

فيقول : « إن هذا القول حق . وما نطقه إلا بعض الحكماء . ولكني لم أسمع به إلا الساعة .

فيقول : « فلعلك يا أبانا قلته ثم نسيت فقد علمت أن النسيان متسرع إليك . وحسبك شهيداً على ذلك الآية المتلوة في قرآن محمد (ص) : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » وقد زعم بعض العلماء أنك سميت إنساناً لنسيانك ، واحتج على ذلك بقولهم في التصغير : « أُنَيْسِيان » . وفي الجمع أناسي . وقد روى أن الإنسان من النسيان ، عن ابن عباس . وقال الطائي :

لا تنسَيَن تلك العهود ، وإنما   سميت إنسـاناً لأنك ناسي

فيقول آدم (ص) أبيتم إلا عقوقاً وأذية : إنما كنت أتكلم العربية وأنا في الجنة . فلما هبطت الأرض نقل لساني إلى السريانية فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكت . فلما ردني الله سبحانه وتعالى إلى الجنة عادت على العربية . فأي حين نظمت هذا الشعر . في العاجلة أم الآجلة . والذي قال ذلك يجب أن يكون قاله وهو في الدار الماكرة . ألا ترى قوله : « منها خلقنا وإليها نعود » فكيف أقول هذا القول ولساني سرياني . وأما الجنة قبل أن أخرج منها فلم أكن أدرى بالموت فيها ، وأنه مما حكم على العباد . وأما بعد رجوعي إليها فلا معنى لقولي : « وإليها نعود » لأنه كذب لا محالة . ونحن معاشر أهل الجنة خالدون مخلدون .

فيقول : « إن بعض أهل السير يزعم أن هذا الشعر وجده يعرب في متقدم الصحف السريانية ، فنقله إلى لسانه . وهذا لا يمتنع أن يكون . وكذلك يروون لك — صلى الله عليك — لما قتل قابيل هابيل :

« تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
وأودى رُبْع أهليها فبانوا وغودر فى الثرى الوجه المليح

ويندد به فى معرض حديث ابن القارح مع آدم (ص) فى الجنة ، وسؤاله عن بيتين يعزوهما الرواة إليه فيجيبه آدم بقوله : «أعزز علىَّ بكم معشر أبنيّ . إنكم فى الضلالة متهوكون (أى : خابطون على غير هدى) آليت ما نطقت هذا النظيم ولا نطق به فى عصرى ، وإنما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . كذبتم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم أبيكم ، ثم على حواء أمكم ، وكذبَ بعضكم على بعض » .

كامل كيلانى

(البقية فى العدد القادم)

حرية الرأى

فى مدى العوامل غير الشعورية

للأستاذ حسين الظريفى

إن حرية الرأى لاتتمثل فى أن لنا أن نختار فيما نفكر وفى طريقة التفكير وفيما نصل اليه من مبدأ وغاية ، ثم نقف عند هذا الترفع من الحرية لانتقدم . وانما هناك شىء يسبق الاختيار ، هو أن نكون بمعزل عن التأثر بما ورثنا وبما حرثنا حتى اذا تلقينا الفكرة من غيرنا أو من عند أنفسنا بصفاء لايشوبه كدر كان من حقنا أن ندعها أو نصدع بها ، وتلك هى حرية الرأى فى شقيها التلازمين .

إذا كان من حق الباحث أن يكون حر الاختيار تجاه أية فكرة تمن له من محيط نفسه أو من الخارج ، فأن من حق تلك الفكرة ألا تنظر بالعين الملونة بأصباغ الماضى القريب والبعيد ، وما قيمة الخيرة فى وسط غير مختار ؟

لقد عرف التاريخ أناساً كان فى وسعهم أن يأتوا ببعض الحقائق فى بعض المواقف ، وكان الظرف الذى عاشوا فيه يدعو إلى هذه الدعوة ويهىء لها ، إلا أنهم كانوا من الخضوع لما عرفوا وألفوا بحيث تهيبوا التفكير بكل جديد فروا بالحياة ولم تمر هى بهم . وعرف التاريخ أناسا جاؤوا بالفكرة الصالحة وبالمبدأ الصالح ثم قبروا وما جاؤوا به ، ملومين غير مكرمين . ذلك لأن آراءهم لم تمس إلا بيد كانت داخل قفاز مما وهب الماضى وكسب الحاضر ، فتراءت بلون غير لونها وأعطى لها دون وزنها . وكذلك يفعل المقلدون .

وظاهر ، أننا نرث ماترك لنا الاولون من عقائد وتقاليد . . . بشىء كثير من التقديس . وكل فكرة جديدة تمن لنا أو تعرض علينا إنما يحدد لها أمد البقاء بالقياس إلى قوة اصطدامها بالقديم الموهوب أو المكسوب . أما التقديس فأنه وليد الغموض الذى يحيط بنشأة كل قديم ، ولذلك نجد هذا التقديس يزداد أثراً فى النفس وقوة على البقاء كلما كان أوغل فى إبعاد الماضى السحيق وأبعد عن التعليل والتحليل . فالعقدة فى تقديس الشىء هى فيما يعلو أصله من جهالة ، فتى ما استطعنا رد ذلك الشىء إلى أصله الذى صدر عنه ، ظهر لنا تقديسه وكأنه ضرب من الوهم . وكان فى استطاعتنا أن نأخذه بضروب النقد وبالأخذ والرد وأصبحنا أحراراً فى موضوعه .

إن الخطورة ليست فى ذات الفكرة ، وإنما هى فى تلك الهالة التى تحيط بها وهى ليست منها فى شىء . ولاحق لنا فى حرية الرأى تجاه ذات الفكرة إن لم نهتك دونها الحجاب ونخرجها من الاطار الذى وضعت فيه . عند ذاك فقط يصح لنا أن نتمتع بحرية الرأى ونقول : هذا خطأ وهذا صواب .

وقد يقوم بيننا وبين حقيقة الشىء حجاب هو من صنعنا ومن وضعنا ، فيخرج الشىء عن حقيقته ويظهر لنا بغير مظهره فنشط بالحكم ونجور فيه ، على غير إرادة وعن غير شعور .

لقد قامت خصومات كثيرة على المناهج والمبادىء ، ولكنها كلها لم تنته بالنصر لأحد الفريقين المتخاصمين وبالتسليم على الفريق الآخر وانما بقيت الخصومة قائمة بينهما تهدأ تارة وتثور أخرى . كذلك الخصومات التى قامت وتقوم بين بعض المعاصرين على غير فكرة واحدة وفى أكثر من ميدان واحد ، فأنها لم تنته إلى نقطة اتصال وتفاهم ، وإنما زادت كل مخاصم تعصباً لفكرته ومقتاً لآراء الآخرين ، ولم ينقطع البحث إلا على القطيعة . وما كان هذا الحوار فى التلقى والإلقاء فى ميدان البحث والمناظرة إلا وليد تلك الأحياء التى تعيش فى أحشاء العقل الباطن ، وهى من غور قاعه ، ومن وراء قناعه تملى إرادتها على الشعور ، فتعمل ولا تُسأل .

مراكش

هل تصبح معتركا دوليا ؟

لباحث فاضل

نقلت الأخبار أخيراً تصريحا أدلى به مستر تشرشل فى نيويورك قال فيه (يجب أن تكون ميناء الدار البيضاء أو مدينة مراكش مركز قوات الأمم المتحدة) وقد سبق لوكالة الأخبار الأمريكية (يونايتد بريس) أن نشرت منذ بضعة شهور نقلا عن مصدر مسئول بأن مداولات تجرى بين الحكومتين الإنجليزية والأمريكية فى شأن ترشيح مدينة طنجة كمركز لقوات الأمم المتحدة ، وزادت الوكالة الأخبارية بأن نفس الدوائر الأمريكية والانجليزية تبدى قلقا وتتساءل فيما إذا كان وجود جيش احتلال بمراكش تابع لواحد من أعضاء المؤسسة الدولية ليس من شأنه أن يعرقل أعمال المؤسسة أحيانا أو يضايقها على الأقل .

وقد احتج الجنرال ديجول على هذه الأخبار ، ولكن أى تكذيب لم يصدر فى شأنهما لا من الولايات المتحدة ولا من انجلترا ، وكانت بعض المصادر الفرنسية المطلعة ترى أن إذاعة كهذه فى الوقت الذى سافر فيه جلالة ملك مراكش إلى باريس إجابة لدعوة ديجول ربما كان له مدلول خاص فى العرف السياسى .

وقد جاء مؤتمر طنجة الذى انعقد فى شهر أغسطس الماضى وانفصل فى الواقع على غير شىء على أمل أن ينعقد بعد ستة شهور دليلا على أن مراكش لغم دائم فى السياسة الدولية ، فقد صرحت روسيا بأن الدستور الذى يربطها بمراكش هو عقد الجزيرة الخضراء الذى أمضته سنة ١٩٠٩ ولذلك فهى ترى أن الاتحاد السوفياتى غير ملزم بأن يرتبط بأية تصفية أو تعهد أو اتفاق فى شأن مراكش أمضى بعد ذلك بدون مشاركته .

ولعل القراء يذكرون أن اتفاقية الجزيرة الخضراء التى تشير لها الروسيا هى اتفاقية دولية تقوم على مبادىء :

لتكن لنا نية الخلوص إلى الحقيقة فيما نلقيه وفيما نتلقاه ولنرفع النقاب عن تلك الرغائب العاملة فيما وراء الوعى فنحسن بها الانتفاع هنا ونتجرد منها هناك ونتخذ منا علينا حافظاً ورقيباً

ونحن إذا انسللنا فى ميدان البحث عما سوى البحوث ، أعطينا الفرصة لأنفسنا وللآخرين فى تحرى مواضع الحق والصدق واختصرنا الزمن لتطور الاذهان وتتابع الحقائق ، فدنّا بما يدين به العقل السليم ولم يقل بعضنا لبعض : لكم دينكم ولى دين . وعرفنا من بيننا من الزعيم ولم نقل : منا أمير ومنكم أمير .

تلك هى خطورة التجرد من هوى النفس عند التعرض للآراء بالتأييد أو التفنيد . وتعظم هذه الخطورة عند ما تحكم فى الموضوع كلمة ولى الأمر ومن يستمد منه القضاء .

ونعود فنقول إن وراء الشعور منطقة نفوذ أخرى غير ذات شعور ، تصنع فيها الألوان فتصطبغ بها الأفكار والآراء . وتصدر عنها الأوامر فتتكيف بها الأقوال والأعمال . ويخرج منها النور فيضىء الطريق ويسار فيه إلى الغاية . وكل أولئك عوامل تكوين وتلوين غير شعورية ، يخضع بها العقل الواعى الى أخيه الكبير فيما وراء الوعى . فاذا أردنا التمتع بحرية الرأى بالحق وبالصدق ، والاتيان بالأفكار المستقلة ، كان علينا التصرف بتلك المنطقة النائية من العقل والتجرد من نزعاتها الشاذة فيما ندع وفيما نصدع وفيما نقدر به الأشياء ونقول كلمة الفصل .

ليست الحرية عندى فى أن نفكر فيما نريد وكيفما نريد وأن نقول وأن نعمل ، وانما الحرية فى تلك السيادة التى يفرضها العقل الشاعر على ما وراءه من عقل غير شاعر تحيا فيه جراثيم الزمن لتكون ذاته وصفاته وتجعل منه وليا للأمر ، ينطق بفصل الخطاب ولكن من وراء حجاب . ولسنا من الحرية فى شىء إن لم نخضع العقل إلى تجارب الواقع وننقذه من غوائل ما بكته فكبته .

لا حرية إلا فى ذلك التجرد الذى يجريه العقل على نفسه ، فيمحو ويثبت غير خاضع إلا لما يرى أنه الحق المطلق من قيود الماضى واثقال كل رغبة شاذة . وفى موضع هذا التجرد من العقل تتلاشى الالوان وتزول الموانع . ويصبح العقل فى موقف من الطبيعة كموقف الطبيعة منه ؛ يتفاعلان على هدى ويعملان على غير سدى ولا يزالان دائما أبداً . (بغداد) **محيى الطريفى**

(ا) استقلال مراكش
(ب) وحدة الأقليم المراكشي
(جـ) سياسة الباب المفتوح من الوجهة الاقتصادية .

ولا نعرف بالضبط إلى أى حد ستساعد الظروف روسيا على الاستفادة من هذا الاساس الذى وضعته لسياستها فى مراكش والذى قد يؤيده الشعب المراكشى المقدام على ما نظن إذا وجد فيه ضمانا لاستقلاله ووسيلة لتحريره من استعمار الفرنسيين الرجعى.

وإذا كان الأنجلو ساكسون لايستطيعون أن يبقوا مكتوفى الأيدى وخاصة الأمريكيين حتى تنفذ روسيا خطتها فى مراكش ويصبح بذلك البحر الأبيض بحيرة روسية والنفوذ الأمريكى تحت رحمة القوات السوفياتية المرابطة بالدار البيضاء واجادير فمن المحقق أيضا أن الأنجلو سكسون لا يستطيعون أن يدافعوا عن الوضعية الحالية التى تعيش فيها مراكش تحت السيادة الفرنسية والإسبانية .

وذلك لثلاثة أسباب :

(ا) لأن فرنسا وإسبانيا دولتان ضعيفتان لايمكن التعويل عليهما مطلقا فى فرض حياد مراكش حتى لا تستغلها قوة عظمى ضد قوة عظمى أخرى لدى وقوع اعتداء ما .

(ب) لأن وجود فرنسا وإسبانيا بمراكش يعتبر كوجود الأعضاء الفزيولوجية الزائدة فى الجسم الحى ، أى كنتيجة باقية لسياسة سرية بائدة تغيرت عليها مقتضيات الأحوال ولا سيا بعد التصريح الروسى الذى لايعترف بأى اتفاق أوتعهد وقع بعد ١٩٠٩ وفى مقدمة العقود التى لاتعترف بهاروسيا عقد ٣٠ مارس ١٩١٢ الذى حول مراكش عمليا إلى مقاطعة فرنسية خالصة فى صورة حماية.

(جـ) لأن حالة جديدة تكونت فى البلاد العربية بسبب فكرة الجامعة العربية التى تستند على أساس دبلوماسى واضح ومعترف به ، وهذه الجامعة تعتبر مراكش امتدادا طبيعياً لها وذلك للأسباب نفسها التى تعتبر بها مصر مثلا ولبنان وسوريا امتدادا طبيعياً لها ، ففصلها عنها — بالنظر لشعور المراكشيين — قد يمهد الجو لجعل (اللغم المراكشى) أكثر حدة ويفتح الشهية للمتآمرين ، ولاسيا وفرنسا قد فشلت فى استمالة قلوب المراكشيين إليها وأصبحت الأحزاب السياسية هناك بعد أن تألفت فى كتلة واحدةهى حزب الاستقلال تحرك الرأى العام بمشيئتها ساعية به لتحرير البلاد وحمل فرنسا على التصريح بالغاء الحماية المفروضة ، ويعتبر جلالة ملك مراكش على ما يقال من المؤيدين لهذه الاتجاهات التحررية .

ويظهر للانسان خطورة الحالة من الآن عند ما يرى فى صحافة اليمين الفرنسية من حين لحين قلقاً على مستقبل الحماية وضغطا على حكومة فرنسا بأن تبدل المندوب السامى الحالى بجنرال حازم يضبط الأمور ويزود بأوسع السلطات .

لهذه الأسباب نرى أن الأنجلو سكسون لا يستطيعون أن يدافعوا عن الوضعية الحاضرة فى مراكش وهم فى الحقيقة من الخاسرين فيها، فماذا إذاً سيكون موقفهم وماذا سيكون عمل روسيا بعد أن أعلنت موقفها أولا وأكدته بصفة غير مباشرة فى قضية طرابلس

من الصعب التكهن بالأمر ، ولكننا متحققون بأن مسألتها ستوضع تقريبا بنفس الحدة التى وضعت بهامسألةاليونان والمضايق التركية وسوريا ولبنان .

(باريس) «خبير»

قصة الذرة :

تلك الأشعة المحيرة !

للأستاذ فوزى الشتوى

— ١ —

وكذبه صدى صوته

وللذرة أيضاً قصتها المثيرة المليئة بشتى أنواع المفاجآت . تقرأها مرة ، فإذا أنت حيال قصة بوليسية شائقة لا يكاد متعقبو طلاسمها يوفقون إلى حل لغز حتى يتعثروا ويفاجأوا بألوان من العجائب والطرائف التى لم يفكروا فيها ولم تكن لهم على بال .

وفى وسعك أن تقسم قصتنا إلى ثلاث مراحل : أولاها فى الاستنتاجات الفلسفية الكلامية ، والثانية حين عثر رونتنجن على أشعة إكس المجهولة فانتقلت القصة من مجرد الفروض والتخمينات إلى الحقائق الثابتة المشيدة على الحقائق الملموسة . والثالثة حين ألقيت القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما اليابانية ، فسجلت ختام الحرب العالمية الثانية . كما بدأت عصراً جديداً يسعى فيه العلماء إلى القبض على لجام الذرة ، وتطبيق معلوماتها على الكون ، وكشف غوامضه وأسراره .

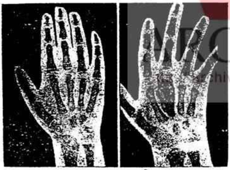
ولا تعجب لأن عالماً كبيراً وقف فى عام ١٨٩٣ ليعلن على الملأ أجمع أن الاكتشافات والأبحاث الطبيعيّة وصلت إلى ذروتها ، وأن العلماء فى المستقبل لن يجدوا من المكتشفات الحديثة ما يستحق الذكر ، وأن كل ما سيعملونه مجرد تكرار وصقل للتجارب البارعة التى أجراها القرن التاسع عشر .

الأشعة الغريبة

لا تعجب لأن صدى صوته ارتد إليه يكذبه ويستنكر عبارته ، فما كاد شهر ديسمبر عام ١٨٩٥ ينتهى حتى أعلن البروفسور رونتنجن اكتشافه لأشعة إكس المجهولة وأرفق إعلانه بصور لعظام اليد ، وبمفاتيح ونقود تظهر من خلال أكياسها الجلدية . فهذه الأشعة ذاتها هى التى نستخدمها الآن فى الكشف عن العظام والأعضاء الداخلية للجسم .

ومحا الكشف العلمى الجديد الغريب صوت العالم . وأثبت أن العلماء ومكتشفاتهم لا تزال ترسم الحرف الأول من حروف الهجاء ، ولم ينتقلوا بعد إلى الحرف التالى ، فقد عثر رونتنجن على أشعة بالغة الغرابة تخترق الأجسام المعتمة كما تخترق أشعة الشمس لوح زجاج شفاف . فما هى ؟ وكيف تحدث ؟ ولماذا تحدث ؟ ومن أين أتت ؟ وما خواصها ؟

أسئلة لم يجب عنها علم القرن التاسع عشر بحرف واحد ، ولم يعرف لها علة ولا تعليلا . فلقبوها بالأشعة المجهولة (إكس) . ولو توفرت المصادفة لكثير من العلماء الذين كانوا يجرون نفس تجارب رونتنجن لاكتشفوها ، فان أنبوبة كروكس الكهربائية التى كان يسعى لمعرفة خواص أشعتها كانت من الأجهزة الشاعة بين العلماء .



شكل ١ — توضح أشعة إكس إصابة العظام بالرواش وفى الصورة اليمنى صورة يد سليمة وأخرى أصيبت عظامها بالسل

أفادت الطب والصناعة

وقد تلقى الأطباء أبحاث رونتنجن وأشعته بكثير من العناية ، فعلى هديها تيسر لهم الكشف عن الكثير من الأمراض التى تصيب الإنسان ، ولا سيما فى حالات كسر العظام ووجود أجسام غريبة فى الجسم . فإذا أطلق الرصاص على إنسان حددت أشعة إكس مكان القذيفة ليخرجها الجراح . وإذا تكونت داخل الجسم أجسام غير طبيعية أصابته بالمرض استطاع الطبيب بأشعة إكس أن يتأكد من وجودها أو ينفيه ، وعلى هذه الصورة يعالج العلة

وعلى هدى أشعة رونتنجن أيضاً يستطيع بعض الصناع فحص الأدوات الدقيقة التى يشترط فيها النقاء ومعرفة ما بها من مواد غريبة . ومثال ذلك كرة البليارد وغيرها . وقد أصبحت أشعة إكس الآن من مستلزمات الطب الحديث ، وكثير من العمليات الصناعية .

ولكن رونتنجن نفسه لم يدرك شيئاً من خواص الأشعة الجديدة سوى طريقة صنعها التى عثر عليها بمحض المصادفة فقد كان كسواه من أكثر علماء تلك الفترة يجرى تجاربه على أنابيب كروكس الكهربية . وهى أنابيب تشبه فى نورها أضواء النيون التى تشهدها كل ليلة فى شتى أنحاء البلاد فى تلك الاعلانات الضوئية الوهاجة ..

ولكن الأشعة المنبعثة من الجانب السالب لأنبوبة كروكس كانت ضعيفة وذات خواص عجيبة إذ تسير فى خط مستقيم مرسلة أشعة خضراء ذهبية تنحرف إذا سلطت عليها مغناطيساً . كما كانت مصدر قوة . فلو وضعت فى مسارها عجلة دوارة فإنها تديرها . وكانت أيضاً ترسل الحرارة فى الأجسام التى تعترضها ، وتضىء الماس وغيره من الأحجار الكريمة .

الحالة الرابعة

وكان السير وليام كروكس مكتشف هذا الأنبوب يعتقد أن هذه الأشعة فريدة فى نوعها ، واستنتج أن الأنبوبة تحوى حالة رابعة للمادة غير الحالات الثلاث المعروفة وهى الصلابة والسيولة والغازية ، وتكهن بأن الحالة الرابعة هى فوق الغازية أو الإشعاع . فكان من الطبيعى أن يدرس ظواهرها أكثر العلماء .

ولأنبوبة كروكس أم استنبطها هينريش جيسلر صانع الأدوات العلمية ؛ وهى تتألف من أنبوبة زجاجية فرغ أكثر هوائها وفى كل من طرفيها قطعة من المدن . وقد أثبت جيسلر أنه إذا وصل أحد طرفى هذه الأنبوبة بمورد كهربائى ، فإن الأنبوبة كلها ترسل ضوءاً لامعاً . وقد كانت هذه الأنبوبة بالذات الأساس الذى صنعت منه أنابيب أضواء النيون .

وتختلف عنها أنبوبة السير وليام كروكس فى أنها أكثر تفريغاً من الهواء نتيجة لاستنباطه لمضخة أقوى وأدق من طريقة جيسلر ، ومن ثم خالفتها فى خواص أشعتها وغرابة تطوراتها ودفعت بالعلماء إلى دراستها .



شكل ٢ — اكتشف السير وليام كروكس حالة رابعة للمادة

وكان رونتنجن كسواه من العلماء ، فأجرى عليها التجارب العديدة . وفى أحد الأيام غطى الأنبوبة بمادة سوداء فكانت دهشته بالغة . فعلى مقربة منه اتفق وجود لوح مغطى بمادة مضيئة وجدها تلمع وتضىء فى الظلام . وأدرك من فوره أن أشعة الأنبوبة اخترقت المادة وانعكست على اللوح، وعرض كيس نقوده فإذا هو يرى محتوياته أيضاً ، وواصل تجاربه حتى أدرك أن أشعة كروكس ترسل أشعة غريبة لا تراها العين ، ولكنها تضىء الأجسام اللامعة . كما وجد أنها تخترق المواد الصلبة وتسجل صورتها على ورق التصوير الحساس . فاستمر فى تجاربه حتى قدمها للعالم فى ديسمبر عام ١٨٩٥ .

وكان من السهل على أكثر العلماء أن يتحققوا بأنفسهم من اكتشاف رونتنجن ، فما لبثوا أن وجدوا أن أنابيب كروكس التى لديهم كانت دائماً ترسل تلك الأشعة الغريبة فحسنوا أنبوبة كروكس وأضافوا إليها مهبطاً من البلاتينيوم وسموها « أنبوبة أشعة إكس » .

(البقية فى العدد القادم)

فوزى الشتوى

الزنبقة الذابلة

للمرحوم أبي القاسم الشابي

أزنبقة السفح مالى أراك ... تساورك اللوعة القاسيه ؟
أفى قلبك الغض صوت اللهيب ... يرتل أنشودة الهاويه ؟

أأسمعك الليل ندب القلوب ؟ ... وأرشفك الفجر كأس الأسى ؟
أصب عليك شعاع الغروب ... نجيع الحياة ودمع المسا ؟

أوقفك الدهر حيث يفجر ... نوح الحياة صدوع الصدور ؟
وينبثق الليل طيفاً كئيباً ... رهيباً ويخفق حزن الدهور ؟

إذا أضجرتك أغانى الظلام ... فقد عذبتنى أغانى الوجوم
وإن هجرتك بنات النيوم ... فقد لزمتنى فتاة الجحيم

وإن سكب الدهر فى مسمعيك ... نحيب الدجى وأنين الأمل
فقد أجج الدهر فى مهجتى ... شواظاً من الحزن المشتعل

أصيخى فما بين أعشار قلبى ... يرف صدى نوحك الخافت
معيداً على مهجتى بحفيف ... جناحيه همس الردى الصامت

فقد أترع الليل بالحب كأسى ... وشعشعه بلهيب الحياه
وجرعنى من نمير الآله ... مرارة تشجو تفت الصفاه

إلىَّ فقد وحدت بيننا ... قساوة هذا الزمان الظلوم
فقد فجرت فىّ هذى الكلوم ... كما فجرت فيك تلك الكلوم

إذا جرفتنى أكف المنون ... إلى اللحد أو سحقتك الخطوب
فحزنى وحزنك لا يبرحان ... أليفين رغم الزمان العصيب

فيصدع عند سكون الدجى ... إذا نسيتنا عذارى السحر
صدى يتهادى كنغم شجى ... تطاير من خفقات الوتر

يرنمه شجن المستكين ... لدى القبر تحت ظلال المسا
فيهجع تحت الثرى الهاجع ... جميعاً على نغمات الأسى

إلى الشاطئ

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

فاض بى شوق ونادانى إليك ... فهفا قلبى وأصغى للنداء
آه . لو ترجع أيامى لديك ... وشبابى من فتون ونماء

نبصر الفرحة فى الشط الحبيب
والتماع النور فى الأفق الرحيب
قبلما تذهب شمسى للمغيب

وبولى من سنا العمر الرواء

أيها الشط وهل تذكرنى ؟ ... أنا من غنى بألحان الوفاء
والرمال البيض هل تنكرنى ... عندما يسأل عنى الأوفياء

أبلغ الأحباب يا شاطئ عنى
أن نيران الهوى تأكل منى
لتمنيت إذا أجدى التمنى

لو على رملك نازعت البقاء

كم أتيناك مع الصبح سكارى ... نتساقى الكأس من خمر الضياء
نتبع الصفو ونمشى حيث سارا ... ونرى الفرحة فى نعمى اللقاء

تسكر الأرواح منا قبلات
وتشيع الأنس فينا صبوات
وعيون الدهر عنا غافلات

والليالى من فتون وهناء

ذكريات كلما مرت ببالى ... أسرفت عينى وقلبى فى البكاء
لأمان باسمات وليال ... كسنا الحلم وإقبال الرجاء

كن أنسى وأناشيدى وخمرى
والذى أينع من يقظة عمرى
والسنا اللماح فى غلة دهرى

والربيع الطلق . أمن وصفاء



رأى معالى عبد العزيز فهمى باشا فى كتاب:

اللغـــــة والمجتمع

تأليف الدكتور على عبد الواحد وافى

[تفضل حضرة صاحب المعالى الأستاذ الجليل عبد العزيز فهمى باشا فأرسل إلى الدكتور على عبد الواحد وافى رأيه فى كتابه « اللغة والمجتمع »] :

تفضلتم فبعثتم إلىَّ بكتابكم « اللغة والمجتمع » ، فتناولته مسروراً شاكراً ، ثم قرأته بكل عناية واهتمام . وقد وجدتكم تناولتم فيه موضوع تطور اللغات وبحثتموه لامن « كل أطرافه » كما يقول الأدباء ، بل فليتموه وخصتموه من « شوشته إلى قدمه » كما يقول أهل قريتنا . ولقد نهجتم فى عرضه طريقة البيان السهل الممتع الممتنع ، وزدتم التنوير والإيضاح بما تزيدتم من التشقيقات والتفريعات ، وبما ضربتم الأمثال من ماضى اللغات وحاضرها وقاصى البيئات ودانيها ، وانتهيتم من استدلالاتكم القيمة إلى تقرير تلك الحقيقة الأبدية وهى : « أن اللغات وما يتفرع عنها من اللهجات كانت وما زالت ولن تزال فى تطور مستمر ، وأن هذا التطور قانون ثابت يجرى مجراه ويأخذ حكمه حتما كلما توافرت دواعيه وعوامله ، وأن هذه الدواعى حاصلة لا محالة وإن أبطأ ظهورها حينا طويلا أو قصيراً » . وأن هذا القانون — الذى حصَّلتُ بيانكم إياه بالعبارة السابقة — هو قانون عام ما شذت ولا تشذ عنه أية لغة من لغات العالم قديمها وحديثها . فهو متمش على العربية كما تمشى من قبل على اللاتينية وغيرها ، وكما هو متمش وسيتمشى حتما على الألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها .

كل هذا يا سيدى من جانبكم كلام صحيح معقول مقبول رضى الناس أو أبوا ؛ فإن القوانين الاجتماعية لا تعرف المحاباة ، ولا ترعى لبنى آدم حرمة ولا عاطفة ولا شعوراً ، بل هى كقوانين الطبيعة من نشوء وشباب وهرم وموت ، تسرى على الناس كافة بغير تفريق بين أجناسهم ولا دياناتهم ولا لغاتهم .

وأكرر أن هذا خلاصة رأيك ، وهو حق كل الحق ، وجميل كل الجمال .

غير أننى لاحظت أنك ، وأنت فى معرض الكلام على اللغات وتطورها ، قد تعرضت — وبحق — إلى رسم كتابة اللغات . وهنا أشرت — فيما أشرت — إلى شكوى الناس قديماً وحديثاً من رسم الكتابة العربية . ولكن سعة علمك ، وجميل منطقك ، وسلامة ذوقك ، كل هذا أبى عليك إلا الاحتراس فى التقرير ، فقلت فى آخر صحيفة ٣٨ : « ولكن الرسم العربى ليس فى حاجة إلى كثير من الإصلاح ، فهو من أكثر أنواع الرسم سهولة ودقة وضبطا فى القواعد ، ومطابقة للنطق » .

بقطع النظر عن سلامة القول بأن فى رسم العربية دقة وضبطا فى القواعد ومطابقة للنطق ، أو عدم سلامته ، فمن رأيك أن هذا الرسم محتاج للاصلاح ، ولكن لا لكثير من الاصلاح . ما هو هذا الإصلاح الذى يستلزمه رسم العربية قلَّ أو كثر ؟

إن سيدى الأستاذ يعلم حق العلم أن الشكوى من رسم العربية ليست آتية من جهة أن أهلها يصعب عليهم إخراج نغماتها الصوتية ، فإن كل الأطفال الذين يقرءون شيئاً من القرآن الكريم بكتاتيب القرى ، وكل أطفال المدارس الأولية يعرفون كيف ينطقون نغمات الثاء والجيم المعطشة والذال والظاء والقاف ، تلك النغمات الخمس التى ليست أصيلة ولا عامة عند أهل اللهجات العربية البعيدة عن الفصحى . أما سائر حروف الفصحى كالباء والتاء والحاء والخاء والدال والراء ... إلى آخر الأبجدية ، فنغماتها يعرف المصرى وغير المصرى من أهل البلاد العربية أن ينطق بها نطقاً لا شائبة فيه ، بلا فرق فى هذا بين متعلم وأمى . لكن هذه النغمات ليست هى اللغة العربية الفصحى المراد خدمتها ، وإلا لما تعذرت على أحد . بل الفصحى هى هذه النغمات موجهة فى الكلمة الواحدة توجيهات مختلفة يقوم بها فى اللغات الأجنبية حروف الحركات ولا يقوم بها عندنا إلا الشكل الذى أفاس . هذا هو موطن الصعوبة عندنا ومثار الشكوى . وما يهم فيما يتعلق بنا أن تكون كتابة اللغات الأجنبية فيها مساوىء

أو لا يكون ، إنما الذى يهمنا هو رسم كتابتنا دون غيرنا .
فمند ماتقول إن رسم العربية هو من أكثر أنواع الرسم «سهولة ودقة وضبطا فى القواعد ومطابقة للنطق» ، اسمح لى أن أقول إن هذا لا يطابق الواقع إلا من جهة السهولة أى الاختزال المخل فقط . أما من جهة الدقة وضبط القواعد والمطابقة للنطق ، فإن هذا تجوّز فى التعبير . إذ معنى الكلمة العربية لا يتأدى بمجرد نغمات الحروف ، بل بهذه النغمات محركة فى اتجاهات مختلفة . وهذا الغرض لا يؤديه الرسم العربى مطلقاً ، أو هو يؤديه ويؤدى كثيراً غيره فى آن ، مما يوجب التشوش والاضطراب . وهيهات أن يسعفنا هذا الرسم العاجز ، ولو أضيف إليه الاضطلاع التين بقواعد اللغة من صرف ونحو وغيرهما . — وما تقوله فى صدر صحيفة ٣٩ مما حاصله أن لجود الرسم فائدة تخليد ما خلفته قرائح أهل اللغة من الآثار ، فاسمح لى أن أقول إن هذا كلام جيد معقول ، ولكن على شرط واحد وهو أن تكون هذه المخلفات ممكناً لأى عارف بالقراءة والكتابة أن يقرأها على الوجه الذى أراده واضعها . وما أظن السيد يعارض فى هذا الشرط أو يرى سهولة تحققه ، خصوصاً مع تطور اللغة وعدم استقرارها على حال واحدة ، ذلك التطور الذى وضع كل كتابه لبيانه . وإذن بقينا مرتطمين بالصعوبة التى نحن فيها الآن .

لا أريد أن أقول إن حضرة الأستاذ الفاضل يستعمل فى عرض أفكاره القيمة التَّقِيَّةَ التى طالما استعملها الجاحظ وغيره من كبار السلف المحترمين ، بل كل ما أريد أن أقوله للسيد هو أنى أنست كثيراً بكتابه وفرحت بسمة علمه . وإنى أرجو الله أن يكثر من أمثاله وأن يوفقه فى عمله ويأخذ بيده فيه ، والسلام مع أوفى الشكر والاحترام .

عبد العزيز فهمى

المدينة المسحورة

للأستاذ سيد قطب

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

عز على الأستاذ سيد قطب أن تتوفر شهر زاد على العناية بأطفالها بعد ما أمضت ألف ليلة وليلة تقص فيها على زوجها الملك شهريار قصصاً جذابة تستهوى فؤاده ، وتحفزه إلى طلب المزيد . وعز عليه أن تسكت شهر زاد عن الكلام المباح وفى جعبتها تلك القصة الرائعة « المدينة المسحورة » التى استطاع الأستاذ سيد أن ينتزعها من صدر الملكة بقدرة فائقة .

فلم تكد تمضى مئة ليلة على صمت شهر زاد ، حتى دب الملل إلى قلب الملك شهريار وخرج يعسعس فى الظلام صوب حجرة زوجه ، تراوده نفسه على إيقاظها لتستأنف أحاديثها الشهية ، ولكن العزة الملكية تحاول تنحيته ، وسرعان ما تحس شهر زاد بحركته وهو بين الإقدام والإحجام ، فتستوضحه الأمر ، وهى به من قبل عليمة ، ثم ترضى أن تمنح الملك عشر ليال من أجل ليالى حياته ، تقص فيها عليه قصة حب عجيب وقصة انتقام أعجب .

ملك تيمه حب راعية شويهات ، فلم يطب له مستقر ، ولم يستطع أن يستوى على أريكة عرشه ، حتى تزوجها مؤثراً إياها على قريبة له من الأسرة الملكية أوصى والده بالزواج منها .

وينجب الملكان أميرة ذات قد مياس ، ووجه مشرق ، وجمال يشع على بدنها نوراً علوياً .

ويدور دولاب الزمن ، فيستهوى قلب الأميرة راع من رعاة الغنم ؛ ولكن المرأة المنبوذة التى أبى الملك أن يقبلها زوجة له احترفت السحر ، ثم انتقمت من نابذها — وبا لها من نقمة — فى شخصه وابنته وعائلته ومدينته ، فأحالت المدينة بسكانها تماثيل ، وماتت هى بدورها مقتولة تضم بين جنبيها سر هذه المدينة المسحورة وكيفية فضه .

وبعد ألف من السنين ، يجىء مثّال من سلالة راعى الغنم الذى كان يزمع الزواج بالأميرة ، لزيارة تلك المدينة المسحورة ،



من أدب القصص الأمريكي

هدية عيد الميلاد ..

للكاتب الأمريكي برت هارت

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

عيد الميلاد في « كلفورنيا » من أروع فصول السنة ... فهو الفصل الذي تنحدر فيه المياه من جو السماء إلى أديم الأرض ، فإذا به يهتز وربو ويفيق من غفوة الشتاء ، وإذا الأرض مجلوة مزهوة بما انبسط عليها من زهور الربيع وأقاحيه ...

وكانت الشمس تسرب شعاعها خلال السحب المنعقدة — التي تتهادى أمام موكب الريح — فيلق الروابي في روعة وجلال فإذا مظاهر الحياة قد تجمعت : الموت والحياة ، والفناء والبعث ، والألم والبهجة ... نعم ... فالروابي التي كان يطويها مطرف الموت والفناء قد زهت ... وسرت نسمة الحياة تراودها ، فإذا البعث والنشور يدب في أكنافها ، وإذا البهجة والحبور تجول في أطرافها ... وإذا الريح التي كانت تنوح في ثورتها تداعب براعم الأزهار وقد استقرت مكان الأوراق الذابلة الذاوية ...

ربما كان هذا كله علة هذا الرونق الذي أحله عيد الميلاد في حجرة الاستقبال ... والذي أكسب الحضور منظراً خلاباً فريداً وأكسب الأزاهر فتنة وجمالا ...

قال الطبيب وهو يدنو بكرسيه من النار : « والآن : . »
ثم قلب طرفه في لطف ودماثة ولكن في حزم وثبات بين الوجوه الملتفة حوله ... وقال :

— أود قبيل أن أمضي في قصتي ... أن أحذركم من مقاطعتي بتلك الأسئلة الساذجة المضحكة ... فعلى كل غلام منكم ألا يعبث برجله أو بذراعه ... وإلا فسيكون جزاؤه الطرد والحرمان ... أفتعدونني بذلك ؟ ! »

فأجابته الجماعة في صوت واحد فيه غضاضة الطفولة ورنة الصبية — « أجل ... ياسيدنا ! »

فعاد الطبيب يقول في صوته الرقيق الحازم :

— « إذن عليكم بالسكون ... « بوب » ... دع رجلك ، وارغب عن سليل هذا السيف الصغير ... وستجلس « فلورا » جواري كالسيدة الصغيرة ، وتكون في هدوئها وإصاختها السمع مثلا يحتذيه باقي الجماعة ... « تانج » اجلس كما يحلو لهواك وبغيتك ، ولكن في هدوء وإصغاء ... والآن . أديروا صنبور الغاز قليلا لكي تستعر النار وتتوهج ... وينبغي على كل صبي أن

فيستلبه تمثال الأميرة إعجابه ، ثم لا يلبث أن يهوى هذا التمثال ويعشق صاحبته عشقاً مبرحاً ، وإذ ذاك يُفَكُّ عن المدينة نطاق السحر الذي ضرب حولها ، فما يشفي داء الحب سوى الحب ، وما يبرىء المريض من كلَبه سوى مصل الكلب . فتدب الحياة ثانية إلى المدينة ، ولكن عوامل البلى التي أوقفها السحر ألف عام ، سرعان ما تعمل في جسوم قطان المدينة بعد ما ردوا إلى الحياة ، فتتحلل أجسادهم تراباً مذورا .

أما الأميرة ، فقد عجزت عوامل البلى عن إصابتها لأنها كانت تحب ! وما حيلة الزمان أمام قلب يحب ؟ !

ذلك إيجاز القصة المسحورة التي كتبها الأستاذ سيد قطب .

وما كنت أحسب أن الصديق سيداً يعرف عن الحب كل هذا ، بل ما كنت لأتخيله بمستطيع أن يصور تلك العاطفة النبيلة في هذه الصورة الرائعة الأخاذة .

ويحق للقصاص أن يغتبطوا لأن ملقن شهر زاد — أعني الأستاذ قطب — أبدى في كتابة هذه القصة ميلا فطرياً إلى مراس هذا اللون من الأدب ، بل التمهر فيه . فالأسلوب له مطواع ، والصورة في مخيلته مجلوة ، والتفكير متجه اتجاهاً صائباً والحبكة الروائية في مقدوره . فلا عجب إذن إذا أصاب الأستاذ سيد قطب من التوفيق قدراً كبيراً ، وإذا كانت كفته من النجاح راجحة .

وديع فلسطين

يجنح إلى الصمت ... ومن يسبب أدنى ضوضاء ، فلن يبقى بين جدران هذه الغرفة ... »

وسادت إثر ذلك آونة من الصمت العميق ... فأسند « بوب » سيفه إلى جانبه ... وداعبت « فلورا » دميتها قليلا ، ثم أرقدتها وجلست جوار الطبيب ... أما « فنج تانج » — ذلك الطفل الوثني الصغير الذي أتيح له أن يحضر مباهج « عيد الميلاد » — فقد ارتسمت على ثغره ابتسامة عذبة فيها حلاوة وفيها براءة .

وكانت الدقات التي تنبعث من الساعة الفرنسية المستقرة فوق المدفأة ... تعكر صفو ذلك الهدوء الذي خلعته روعة « عيد الميلاد » على حجرة الجلوس حيث تناثرت اللعب ، والعلب المصنوعة من خشب الأرز الطيب الرائحة ... والأزهار الفياحة عطراً ...

* * *

بدأ الطبيب يسرد قصته قائلا :

« منذ أربع سنوات — في مثل هذا الوقت — حضرت حفلة « عيد الميلاد » في منزل صديق من أصدقائي المدرسين ... وشملني شيء من المرح ، إذ سيتاح لي أن أرى إبناً من أبنائه على الرغم من أنه في الثانية عشرة من عمره إلا أنه كان على مبلغ وافر من العبقرية والنبوغ ... فقد حفظ من قصائد الشعر اللاتيني والإنجليزي مالا أستطيع له حصراً ...

كما كان في مقدوره أن يؤلف قصائد وأشعاراً رقيقة لها روعتها ولها جمالها ...

وليس بمقدوري أن أحكم على أشعاره ، فما أنا ممن أوتوا القدرة على النقد ، ولكن ثمت بعض النقاد أعجبوا بما أوتي من الموهبة الفائقة على نظم الشعر في مثل سنه المبكرة . وتنبأوا له بمستقبل زاهر في ساحة الشعر والأدب ... بيد أن والده كان على الضد من ذلك : رجل حقائق وعمل لا رجل خيال وأدب ...

كانت الحفلة مبهجة مرحة ... وكان الأطفال قد تجمعوا من كل صوب ومكان ... ووقف معهم ذلك الغلام — وهو في طوله مثل « بوبي » ... وفي أدبه وخلقه مثل « فلورا » التي بجواري ... كان الجميع يدعونه « روبرت » ... أما صحته فكانت معتلة ضعيفة واهنة ... وطالما شكا إليّ أبوه من قلة لعبه مع من هم في سنه من الصبية وتفضيله اللبث في البيت مغموراً بين الكتب والأوراق يطالع ويكتب ...

وكان ثم « شجرة لعيد الميلاد » كشجرتنا هذه ... وكثيراً ما ضحكنا في عبث ولهو مع الأطفال الذين راحوا يتسلمون هداياهم المعلقة في الشجرة ... وشملنا جميعاً جو من المرح والصفو ...

وبغتة ندت عن غلام صيحة فيها مزيج من العجب والطرب وقال : « هاك !! شيء لروبرت ! فماذا أنتم قائلون ؟! »

فراح يخمن كل منا :

— « قلم من الذهب . »

— « كتاب للشاعر ملتون ... »

— « قاموس للقوافي ... »

بيد أن الغلام قال على دهش منا :

— « ليس شيء من ذلك إنما هو ! . طبل . »

— « ماذا ؟!! »

— « طبل ... وعليه اسم روبرت » !.

فارتفعت صيحات الضحك من أفواهنا ... فقد كانت دعابة حقاً ... وقال أحدنا : « هه ... أرى أنك ستحدث في العالم دوياً هائلا ياروبرت !. » وقال آخر « ما هذا الطبل إلا لوزن الشعر ! » وترت الأقوال وتعددت فيها دعابة وفيها عبث ... بيد أن روبرت أبي أن ينبس بكلمة ... وشحب لون وجهه ... وأطلق صيحة فيها حقد واضطراب ، وبرح الغرفة ... فأحس هؤلاء الساخرون شيئاً من التألم والتأنيب ... وانهالت الأسئلة فيمن أتى بهذا الطبل ... ولكن دون جدوى ... ولم يعد « روبرت » إلى الغرفة ثانية تلك الليلة ...

* * *

وضرب النسيان ستارة على هذه الحادثة فقد اشتعلت حرب العصيان الأهلية في الربيع التالي ... وعينت في أحد الفيالق .

وفي طريقي إلى ساحة القتال مررت بالأستاذ المدرس ... فكان أول سؤال — ابتدره به لساني — عن « روبرت » ... فهز الأستاذ رأسه في حزن وألم ! وقال :

— « ليس على ما يرام ! فقد أصيب بانحراف ظل ملازمه

منذ عيد الميلاد حينما رأيته ... حالة غاية فى الغرابة ... ولكن اذهب فانظره لعلك تستطيع أن تزيل عنه ما يعتريه ! »

فذهبت من فورى إلى منزل الأستاذ حيث وجدت روبرت مضجعاً فى مقعد طويل ... وقد تناثرت ثم حوله كتبه وأوراقه وعلق الطبل فوق رأسه ... وكان وجهه شاحباً ذابلا ... ولكن عينيه كانتا فى بريق ولمعان ...

ابتهج وسر حينما رآنى ... ولما علم بوجهتى ... طفق يسألنى كثيراً عن الحرب ... وظننت أنى بحديثى إليه قد سليته عن مرضه ، غير أنه فجأة أمسك بيدى وقربنى إليه قائلا فى صوت خفيض كالنبأة تسرى فى الفضاء .

— « سيدى الطبيب ... أرجو ألا تسخر منى حينما أخبرك بعض الأشياء ! إنك لتذكر ذلك الطبل ... » وأشار إلى الطبل المعلق فى الحائط فوق رأسه ... « وتعلم كيف أتى إلى من حيث لا أدرى ولا تدرون ... فبعد بضعة أسابيع من عيد الميلاد وكان الطبل معلقاً هكذا فوق رأسى ... وكانت عيناى بين النعاس واليقظة ... إذ يطرق أذنى صوت قرعات خافتة تنبعث من الطبل ثم إذا بها تعلو وترتفع ... ثم توالت وتتابعت سريعاً ، ودوى صوتها جليلا رهيباً ... حتى لكأنها ملأت البيت ضجة ودوياً . طرقت أذنى ثانية عند ما وافى الليل نصفه ولم أجرؤ على أن أنبىء أحداً بخبرها ... ولكنى كنت أسمعها كل ليلة إثر ذلك ...

وانقطع صوته برهة ... ولكنه لم يلبث أن عاد يقول فى قلق واضطراب «أحياناً تكون القرعات خافتة هينة ... وأحياناً تكون مرتفعة مدوّية ... ولكنها ظلت سريعة متتابعة حتى كنت أخشى أن يسمعها أحد من أهل البيت فيسألنى فلا أجد له جوابا ...

بيد أنى أعتقد يا سيدى الطبيب ، ونظر إلىّ نظرة فيها ألم وفيها قلق « أعتقد ... أن أحداً لم يسمعها سواى ... إنها تأتينى من هذا الطبل مرتين فى اليوم ... عند ما أكون غارقا فى القراءة أو الكتابة ... أسمعها ... فكأنها غاضبة حانقة فى قرعها ... وتعمل على أن تستلب عقلى من بين كتبى ... » .

وكانت عيناه تلمعان وتتألقان ، وصدره بين ارتفاع وانخفاض ، فحاولت أن أخبره أن هذا ليس إلا ضعفاً وإنهاكا عقلياً وجسمانياً أدى إلى اضطراب فى الحواس ، كما يحدث لكثير من الناس .

فأنصت إلى ما أقول ، وعلى ثغره ابتسامة حزينة كأنه لا يعتقد ما أقول ، ولكنه شكرنى ، ثم لم ألبث أن ودعته ورحلت ، وقابلت الأستاذ فى طريقى ، فأوضحت له رأيى عن حالة ولده فقال :

— إذن فهو يحتاج لهواء منعش ، وجو رائق ، ورياضة جميلة !

ولم يكن الأستاذ بالرجل السيء البغيض ، ولكن كان كثير الألم والإشفاق لما يعترى ولده .

وغادرت المدينة فى نفس ذلك اليوم ، وكاد داعى النسيان أن يأتى على هذه الذكرى فيطويها ويمحوها ، فقد انهمكت فى تمريض للجرحى ، ومعالجتهم فى مستشفيات القتال ... لولا أن قدر لى أن ألتقى رجلا عسكرياً ، كان على صلة صداقة بالأستاذ فأخبرنى أن « روبرت » أصيب بلوثة وخبال فى عقله ، وفى إحدى النوبات التى كانت كثيراً ما تعتريه ، فر من المنزل ، ولم يعثر له على أثر ، وكان الخوف من أن يكون النهر قد طواه فى أعماقه .

فاهتزت نفسى فى فرق وروع لهذه الفاجعة ، ولكن لم يقيض لى الله وقتاً أجلس فيه حزينا لما أصاب «روبرت» الصغير

ومضت الأيام بعد هذا النبأ ، وإذ بفيلق من جيشنا قد أتى عليه الثوار ، وفتكوا به فى وحشية وجنون

فنقلت من ساحتى إلى مستشفى هذا الفيلق لأعاون زملائى الأطباء فى معالجة حياة هؤلاء المنكوبين والصرعى

وعثرت برجل طويل القامة عملّس بتع ، كان مثخناً بالجراح فى فخذيه ، ولكن رجانى أن أدعه وأنصرف إلى زملائه الذين هم أحوج منه بالعناية والرعاية ، بيد أنى لم أكترث لرجائه فى بادىء الأمر ، لأن هذه الرحمة وإنكار الذات سائدة شائعة بين رجال الجيش جميعاً ، ولكنه ما لبث أن عاد يقول : « بالله أيها الطبيب دعنى ، فثمت غلام كان يقرع الطبل ، غلام باسل جسور ، يجود بأنفاسه الآن ، فاذهب إليه وانظره لعلك مستطيع له علاجاً ، لقد أنقذ هذا الغلام ببسالته وجسارته كثيراً من رجالنا ، لقد أنقذ شرف فيلقنا بما أتاه من جليل الأعمال هذا الصباح فأنقذه بالله أيها الطبيب ! »

أثرت فى نفسى روح هذا الرجل وسجيته أكثر من منظر هؤلاء الجرحى وهم مبعثرون فى كل مكان يئنون ويصيحون فى حشرجة وزحير مما بهم من ألم وعذاب . فمضيت بينهم إلى حيث كان ذلك الغلام — قارع الطبل — راقداً وجواره طبله ملقى ... فلمحت وجهه فإذا به « روبرت » .

ولم أكن فى حاجة إلى وصف ذلك الرجل الجريح ولا إلى البرودة التى سرت إلى جبينه ... لكى أعرف أن ليس ثمت من أمل فى حياته — ناديته باسمه ؛ ففتح عينيه وعرفنى ... وقال فى صوت هامس فيه ضعف يسرى «إنى لمسرور بلقائك .. ولكن أحسب أن القضاء حم ولا مفر من الحمام » ، فلم أجد فى نفسى القدرة على أن أكذبه القول ، ولا القدرة على أن أخبره بالحقيقة ، فأمسكت بيده وضغطت عليها فى رفق ولطف أحثه على التجلد ، وتابع حديثه فى صوت أوهن وأضعف .

« ... ولكنك سترى والدى ، فاسأله أن يغفرلى ، ويصفح عنى ، وقد يلام كل إنسان سواى ، لقد تقضى وقت طويل قبل أن أدرك علة إرسال هذا الطبل لى كهدية فى عيد الميلاد ! وكذلك علة هذا النداء الذى ظل ينبعث من دقاته يدعونى ويدعونى ... وأخيراً عرفت ما كانت تدعونى إليه ، وإنى لراض بما فعلت ، فبهذا تحدثنى نفسى : خبّر والدى أن هذا أفضل من لبثى معه ، أنغص عليه عيشه ، وأكدر عليه صفو حياته ، لما يعترينى من شذوذ واضطراب ومرض »

وتوقف حديثه هنيهة ، ثم إذا به يمسك يدى ويقول : « انصت ! » ... فأصخت السمع ، ولكن لم يطرق أذنى سوى أنات الجرحى وزحير المرضى ، فقال فى صوت خافت : « الطبل ! ألا تسمعه ؟ إنه يدعونى » ، ومد راحته إلى حيث ألقى طبله كأنه يود لو عانقه ، وعاد يقول : « انصت ! أفلا تسمع دقات الطبل وهى تنبعث فى رهبة وجلال ؟ ! ها هى الصفوف تنتظم ... أفلا ترى الحراب والأسنة وهى تتألق تحت شعاع الشمس ؟ ! إن وجوههم مشرقة طلقة يعلوها البشر والرضا . . مه ! ها هو القائد إنه ينظر إلى وعلى ثغره بسمة الرضا والبر ! » وانطبقت شفتاه وارتخت أهدابه على عينيه ، وسكن سكنته الأبدية ! !

(طنطا) مصطفى جميل مرسى